فلسطين عبر التاريخ

عبد الرحمن المزين

الجزء الأول

« المقدمة »

بعد أن اغتصب الصهاينة أرض فلسطين ... عمدوا الى طمس تاريخها وسرقة تراثها ...

فقد أقاموا في عواصم أوروبا والاميركيتين ، معارض لازيائنا الشعبية المطرزة ، وفنوننا التطبيقية المتمثلة في فن الزجاج والفخار والصدفيات والمنحوتات الخشبية والنحاسيات . كما أقاموا المهرجانات والحفلات لرقصاتنا الشعبية « الدبكة » والأغنية والموسيقى الشعبية ونسبوا كل ذلك بالزيف والتضليل لانفسهم .

وردا على ادعاءات الصهاينة نورد الحقائق التاريخية الأثرية على هذه الصفحات .

« الباب الاول »

فلسطين خلال العصر الحجري القديم

يستفاد من علم الجيولوجيا أن حقب الحياة الحديثة[1] في فلسطين قد بدأت منذ نحو خمسين مليون سنة يشير بعضهم أنها بدأت منذ سبعين مليون سنة . وقد كانت تغطيها المياه ، ومن ثم أخذت أرض فلسطين ترتفع نسبيا عن سطح المياه ، ومنذ قرابة مليوني سنة على الأقل حدث شق أرضي كبير في القشرة الارضية بفلسطين ، فتكونت بذلك مرتفعات فلسطين ، ونهر الاردن وبحيرة طبرية والحولة والبحر الميت ، ويعتقد الجيولوجيون أيضا أنه كان هناك اتصال بين البحر الميت ووادي الاردن على شكل بحيرة أو خليج ، وفي العصور بين المطيرة انقطع هذا الاتصال فقام البحر الميت .

ولبيان الجهود الجبارة والمحاولات الاولى لانسان فلسطين للتغلب على ما حوله من قوى الطبيعة ، لابد لنا من عرض كل مرحلة من



مراحل العصر الحجري القديم على حدة كما هو آت :

اولا ـ مرحلة العصر الحجري القديم الاسفل(٢) :

كان انسان فلسطين في هذه المرحلة بدائيا يعيش داخل الكهوف المتعددة ، التي تميزت بكثرتها في البيئة الفلسطينية ، وكان يسكن هذه الكهوف هربا من الامطار الغزيرة من ناحية ، وهربا من الحيوانات من ناحية أخرى • وقد عثر على آثار هذه الحيوانات داخل حفائر الكهوف في (المنسوب) الأرضي لها وهي الكركدن والفيل وفرس النهر والخراتيت والجواميس النهرية وثيران الكهوف ، وقد كان يصطاد هذه الحيوانات من أجل غرضين الأكل والملبس وربما كان يفضل لحوم بعضها على بعضها الآخر •

وقد عثر المنقبون على أدوات حجرية قام انسان فلسطين بصنعها من حجارة المنطقة ، وتاريخها يعود الى ٢٨٠٠٠٠ سنة ، وهي تتألف من أدوات وأسلحة ، كان يستخدمها انسان فلسطين في هذه المرحلة كفؤوس يدوية أو مكاشط أو سواطير • وهذه الأدوات عثر عليها في أماكن متعددة من كهوف فلسطين ، منها كهوف جبل الكرمل •

وقد قامت بالحفائر فيه الانسة (دورثي جارود ، ود• بيت) كذلك في حضارة أم قطفة التي تقع في شمال غربي البحر الميت وقد اكتشفها « رينه نوفيل » ، كما عثر أيضا على أدوات حجرية في مغارة الزطية شمالي غربي بحيرة طبرية ، وقد اكتشفها « تول فيل بيتر » •

وأهم هذه الادوات الحجرية الصوانية نوعان :

النول الاول : الفاس اليدوية ـ ويطلق عليها بعض العلماء « قبضة اليد » وهي تتألف من كتلة حجرية مكونة من لب حجر الصوان ، بحيث يمكن للانسان امساكها بقبضة اليد واستعمالها •

النوع الثاني : البلطات اليدوية ـ وقد عثر المنقبون على أعداد كثيرة منها ، في مناطق متعددة من فلسطين ، منها مجرى نهر الاردن ، وشمال بحيرة طبرية ، وقد صورت البلطة اليدوية على شكلين : بيضاوي ومثلث •

ويذكر علماء الآثار أن أدوات هذه المرحلة قد اتبع في صنعها طريقة خاصة وهي تسمى لديهم بطريقة « القلب أو اللب » •

وقد عرف انسان فلسطين في هذه المرحلة الموغلة في القدم « استخدام النار » فقد عثر المنقبون في أحد كهوف الكرمل وهو مغارة الطابون ، في أسفل طبقة ، على بقايا النار وتعود الى ١٥٠٠٠٠ سنة ق•م • وهي من أخشاب السنديان والطرفاء والكرمة والزيتون[٣] • وقد تم ذلك بفضل الآنسة «دورتي جارو دو بيت»•

ثانيا ـ العصر الحجري القديم الاوسط(٤):

أخذ جو فلسطين في هذه المرحلة يتجه نحو الجفاف ، وذلك بين دورين ممطرين ، ولكن الجو مع ذلك كان دافئا جافا ، كما أن الانهار كانت أكثر عرضا منها الان اذ انها كانت مملوءة

بالماء ، وتبدو في عرضها وكأنها مستنقعات • كما أن هناك مساحات واسعة مغطاة بالاشجار والحراج • ولكن في نهاية هذا العصر هطلت أمطار غزيرة ، لذلك فان الانسان لم يترك البيوت الطبيعية وهي المغارات والكهوف ، يدل على ذلك الحفائر الأثرية ، حيث عثرت الانسة دوروثي جارود ، ود. بيت ، على أقدم بقايا الهياكل العظمية البشرية ، وذلك في منطقة الشرق الادنى القديم حيث يعود تاريخها الى ١٠٠٠٠٠ سنة على الاقل • وقد عثر رينه نوفيل عام ١٩٣٤ م في جبل القفزة في كهف يقع في جنوب الناصرة على بقايا هياكل عظيمة وتفيد هذه الاكتشافات أن الهياكل العظيمة هذه ، ذات أهمية فهي تتحدر من النوع المعروف النياندرتالي[٥] ، حتى تصل الى أشكال تكاد تكون هي الانسان الحديث ، كما أن هياكل جبل الكرمل تميزت بانها لها صفات تشريحية مثل الانسان الحديث الاول ، ويوضح بعض الباحثين أن انسان جبل الكرمل ، يمثل مرحلة الانسان الحديث الاول• وأصحاب هذه الهياكل عاشوا داخل الكهوف اتقاء للمطر والحيوانات المتوحشة التي كانت تغص بها حراج فلسطين الكثيفة في ذلك الوقت ، وقد كان يعتمد في غذائه على التقاط الفواكه والثمار والاعشاب ، وربما كانت تقوم بهذا الواجب النساء • أما الرجال ، فكانوا يصيدون الحيوانات ، لان مهمة الصيد صعبة • وقد عثر على بعض عظام حيوانات تلك المرحلة داخل الكهوف ، ومنها الغزال والضبع المرقط والدب والحمل وخنزير النهر والوعل والكركدن وفرس النهر وقد عثر على عظامها داخل حفائر الكهوف • وتفيدنا هذه الحفائر أن الحضارة في هذه المرحلة كانت داخل الكهوف • وقد عثر على عدة طبقات تفيد أن هناك حضارات متتالية قامت داخل الكهوف ، وتتمثل هذه الحضارات البدائية في الأدوات الحجرية الصوانية ، وتعرف لدى علماء الآثار باسم الادوات المشظاة • وتتكون من أدوات مشظيات تكون حوافها الخارجية غالبا حادة الى حد كبير ، وقد استخدموها كأدوات لتقطيع اللحوم وسلخ جلود الحيوانات بل وفي تخريم جلودها وتقطيع شرائح منها واستخدامها كخيوط لحياكة الملابس الجلدية •

ومن أدوات هذه المرحلة البلطات اليدوية والمطارق والسواطير والسكاكين وأدوات تخريم الجلود •

ثالثا ـ العصر الحجري القديم الاعلى[٦] :

يعود تاريخ هذا العصر الى (٣٥٠٠ حتى ١٥٠٠٠ سنة) ، وقد تزايدت نسبة ، الجفاف فيه ، وأصبح المناخ عامة قريبا من المناخ المعروف اليوم بمناخ البحر المتوسط ، وقد امتد حتى نهاية هذه الفترة ، وكان انسان فلسطين في هذه المرحلة يعيش داخل الكهوف ، وقد اكتشفت اثاره في مناطق متعددة أهمها كهف الاميرة ، وذلك بالقرب من بحيرة طبرية وقد اكتشفه تروفيل بيتر ، في كهف مغارة الوادي قرب الطرف الغربي الكرمل • وقد عرف انسان هذه المرحلة استخدام النار ، حيث عثر على بقايا من أخشاب النار ، ودل تركيبها أنها كانت من السنديان والطرفاء والكرمة والزيتون ، وقد

عثرت عليها الآنسة دورثي جارود وبيت وأدوات هذه المرحلة « الاسلحة النصلية » ويطلق عليها علماء الآثار ، الادوات والاسلحة الميكرونيثية ، أي الأدوات الدقيقة ، وتتميز بأنها صغيرة الحجم وسهلة الحمل ، كما تعرف بتعدد أشكالها • وقد عثر المنقبون أيضا على أدوات وأسلحة تعود الى هذه المرحلة في مناطق متعددة من فلسطين ، منها كهف القفزة بالقرب من الناصرة ، وتتمثل الأعمال الفنية الحجرية هذه بكتل مربعة ذات حد ونصال رفيعة طويلة، بأدوات مسننة ، ومكاشط خرطومية • كما عثر على افريز من حيوانات ما قبل التاريخ في أم قطفه •

انني أعتقد بأن كهف أم قطافه كان مكان عبادة لاجراء (طقوس) سحرية أمام ذلك الرسم قبل قيامهم برحلة الصيد، وضمن هذه (الطقوس) كان هناك رقص تعبيري تمثيلي • كما أن رسمهم لهذه الحيوانات ، كان لاعتقاد أنه عند رسمهم لها يمكنهم السيطرة عليها ، وهذا الاسلوب اتبع في حضارات العالم القديمة والتي ظهرت داخل الكهوف ويطلق العلماء على هذه الطريقة اسم التطابق والتشابه •

ومع نهاية مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى تبدأ مرحلة جديدة وهي مرحلة العصر الحجري المتوسط • وقد عرف فيها انسان فلسطين الاستقرار والزراعة الى جانب الصيد •

اهم المراجع :

١ – للاستفادة – راجع محاضرات التكنولوجيا – للدكتور زكي اسكندر – كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية – قسم الدراسات العليا عام ٧١ – ١٩٧٢ م •

آثار فلسطين – للدكتور وليم ف. أولبرت مترجم – ص ٥٤ ، ٥٥ • وللتوسع في تاريخ الارض الجيولوجي راجع – الموسوعة الذهبية – المجلد الثاني ص ٢٦٩ ، كذلك الموسوعة الذهبية المجلد الثالث – ص ٤١٩ الى ٤٢٤ – الناشر مؤسسة سجل العرب ١٩٧١ م •

٢ – د. وليم ف اولبريت – آثار فلسطين مترجم – ص ٥٧ •

د . فيليب حتي – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين – الجزء الاول – مترجم من ص ٧ الى ١٣ •

د . جيمس هنري برستد – انتصار الحضارة – مترجم ص ٤١ •

٣ – د. فيليب حتي – تاريخ لبنان – مترجم – ص ٥٨ – دار الثقافة بيروت – لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٢ م •

٤ – د. نجيب ميخائيل ابراهيم – مصر والشرق الادنى القديم – رقم (٣) – ص ٣٨ دار المعارف بمصر عام ١٩٦٦ م – الطبعة الثالثة •

د. فيليب حتي – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين – مترجم الجزء الاول – ص ١٠ الى ١٣ •

د. وليم ف . اولبريت – آثار فلسطين – مترجم – ص ٥٨ •

٥ – نسبة الى موقع اثري في المانيا اسمه « نياندرثال » حيث عثر على هياكل عظمية لاول مرة بالقرب من دسلدورف في المانيا عام ١٨٥٦ م ، راجع المعرفة – المجلد الاول – ص – ١٤٦ – مترجم – الناشر شركة ترادكسيم – جنيف سويسرا •

٦ – د. انور الرفاعي ، قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير ص ٧٥ ، ٧٦ •

د. نجيب ميخائيل ابراهيم – مصر والشرق الادنى القديم – رقم (٣) الطبعة الثالثة ١٩٦٦ م – دار المعارف – ص ٣٩ •

« الباب الثاني »

فلسطين
خلال العصر الحجري المتوسط

بدأت حضارة العصر الحجري المتوسط في فلسطين منذ ١٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، ودامت حتى ٦٨٠٠ قبل الميلاد ، ومن أهم مواقعها الاثرية : مغارة الوادي والخيام والوعد وكباران والشقبة وقرى عين ملاحة شمال غربي بحيرة طبرية ، وقد كشف عنها (جان برو) عام١٩٥٦م وأريحا حيث عثرت الآنسة كينيون ايضا على آثار لانسان فلسطين وذلك في حفائرها التي قامت بها في الفترة بين ١٩٥٢ ــ ١٩٥٧ م •

وقد اطلقت الآنسة دورثي جارود على الحضارات السابقةالذكر اسم الحضارةالنطوفية نسبة الى وادي النطوف شمال القدس في كهف كشفت عنه في عام ١٩٢٨ م واسمه كهف الشقبة•

وقد عرف الانسان في هذه المرحلة الموغلة في القدم تأنيس الحيوانات‌وتربيتها ، حيث عثرت الآنسة دورثي جارود على جمجمة كاملة لكلب كبير في مغارة الوادي من كهوف الكرمل • ويعتبر فيليب حتى هذه الجمجمة أول برهان لتدجين الحيوانات ، ويعتقد ان انسان تلك الحضارة دجن الكلب حين كان لايزال يعيش صيادا ، وكان ذا فائدة في الصيد والحراسة وجمع فضلات الطعام (١) كما عثر جارستانج على اشكال تمثل البقر والماعز والغنم والخنزير وهي مقدمات نذرية ، وقد صنعت من الطين • وهذه تؤكد أيضا معرفته لتدجين الحيوانات •

وقد مارسوا الصيد حيث عثر على اعداد للادوات الصوانية ، والآلات المدببة واهمها ما يعرف لدى المنقبين باسم النصل القمري ، وهو نصل صواني على شكل قوس او هلال • ويعتقد وليم ف • اولبريت بأنه استخدم كرأس سهام كان لها فرضة ، كذلك السنانير المصنوعة من العظم لصيد الاسماك •

كما عرف انسان فلسطين الزراعة منذ ١٢٠٠٠ سنة ق•م • وقد عثر المنقبون (الآنسة دورثي جارود وتورفي بتروكاثلين كينيون) على أدوات تؤكد معرفتهم للزراعة ، أهمها مناكيش أطرافها مدببة ومعاول ، وقد صنعت لحرث الارض • أما الأدوات الخاصة بالحصاد فهي المناجل وبعضها كبير الحجم وقد صنع من حجارة الصوان ، وكذلك مناجل صنعت من العظم بعضها كامل وبعضها مكسور ، والمناجل الكبيرة زينت برؤوس منحوتة لحيوانات من البيئة وقد ثبت المثال بنصالها أسناناً صغيرة من الصوان تمتد من طرف النصل الى طرفه الآخر •• وهذا النوع ظل معروفا بفلسطين حتى العصر الحديدي مع ادخال تعديلات لم تبعده عن الاصل • (وليس ثمة ما يستغرب في هذا الاتجاه المحافظ للشكل ، فانما هو امتدادلاتجاه كل الجماعات الى التمسك بخبرتها الاجتماعية التي اكتسبتها بالعرق والجهد وميلها الى نقل هذه الخبرة من جيل الى جيل بحسبانها تراثا لايقدر بثمن) (٢) •

كما عثر في وادي النطوف على أدوات حصاد وهي مناجل صنعت من حجارة الصوان من النوع المعروف باسم « الشبفرات‌الصوانية »

وقد ثبت في قبضة خشبية ذات شكل منحن مثل المنجل ، ويعتقد انها كانت تستخدم لحصاد القمح •

وعثر في اريحا على قرابين تتمثل بأجران ومخازن غلال ، كذلك أدوات لتجهيز الحبوب وهي الاهوان وايادي الاهوان والاجران •• كما عثر داخل الكهوف وفي القرى على مناجل ومناكيش •

وأهم ما يميز فلسطين في هذه المرحلة بناء القرى ، وأشهرها قرى عين ملاحة وتعود للعصر النطوفي المبكر أي منذ ١٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد) حسب التاريخ بالكربون المشع •• وقد بنيت من الحجر ، وتتميز بمنازلها ذات التخطيط المعماري الدائري وارضياتها من الحجر ، ومنخفضة عن سطح الارض تميل جدرانها الى الداخل ، كما اتجهت الى أعلى البناء ، بحيث تكوّن قبة في النهاية •

كما عثر على قرى أخرى بالقرب من بحيرة الحولة في (عينات) أسسها وأرضياتها من الحجر ، وعثر أيضا في وادي النطوف شمال غربي القدس على بيوت دائرية مسقوفة بالقصب المخلوط بالتبن ، وكذلك وجدت مواقد مربعة في وسط كل بيت وقد أحيطت بأحجار طليت بمادة بيضاء قوية جدا وهي الجبس •

عرف البناء في هذه المرحلة القديمة في اريحا حيث عثرت الآنسة كاثلين كينيون ، على الصخر مباشرة على بيوت دائرية التخطيط تامة التكوين وتعود الى العصر النطوفي المتأخر ، وهي تدل على أول انسان استقر في اريحا داخل منازل وقام بأول تجربة في فن البناء ، وتعتقد كينيون أن أهل أريحا قد بنوا في بادىء الامر بيتا دائريا صلبا وواسعا ، ومن ثم قلد بعد ذلك ، فشيد أهل اريحا عدة مبان دائرية انتشرت على مساحة كبيرة وهي عشرة افدنة وسكنها في بادىء الامر نحو ثلاثة آلاف نسمة • وتبدو مساكن أريحا في تلك الفترة وكأنها بيت واحد وفيها الوسائل الدفاعية ، كما يبدو أن مجتمع أريحا كان في تلك الفترة مجتمعا مترابطا يتكون من جماعات ذات هدف واحد ويؤكد ذلك نظام المدينة المحاطة بالاسوار الدفاعية (٣) •

شكلت مباني اريحا من جواليص الطين أو الطوب ، وجدرانها منحنية الى الداخل كلما اتجهت الى أعلى ، بحيث تعطي في النهاية قبة وكان لها مداخل منحدرة ، ووجدت آثارلخشب في الجدران ، وهذا يوحي بأن السقف من أغصان وفروع من الخشب مجبّسة ، أما وجه الحائط، فكان يتكون من الطين المغطى بألواح من أشجار النخيل ، وأما الارضية ، فهي من الطين المجبول ، وتاريخ هذه المباني يعود الى ٧٨٠٠ سنة ق•م• ولاتقل عن ٧٠٠٠ ق•م • وذلك حسب التاريخ بالكربون المشع (٤) • وأحيطت المدينة بسور ارتفاعه عشرة امتار ما زالت بقاياه في مدينة اريحا القديمة •

وقد كان لهم تفكيرهم الديني الخاص •فقد وجد في « عينات » معابد ، وتبين أن أريحا وتاريخ معبد أريحا يعودان الى ٧٨٠٠ سنة ق•م • (٥) • كما عرفوا المقابر حيث عثر في قرى عين ملاحة على مقابر جماعية وفردية وكان أهلها

يهتمون بتغطية موتاهم بكتل حجرية ضخمة لحفظها • وقد زودوا مقابرهم بالاثاث الجنائزي وكذلك الحال في مقابرعينات حيث كان لهم تقاليد محكمة في الدفن وقد زودوا مقابرهم بالاثاث الجنائزي •• كما وجدت أواني الطعام وأدوات الزينة في أماكن الدفن (٦) وعرفوا أيضا فن النحت والنقش ، حيث عثر على تمثال صغير يمثل غزالاً منحوتا من العظم ، وعلى تماثيل حجرية لرؤوس أشخاص ، وعلى نحت يمثل عضو التذكير من الصوان في مغارة الوادي ، وهي عادة كنعانية ، كما مهروا في النحت والنقش على العظم لرؤوس الحيوانات ومنها الثور والغزال •

ومن خلال عرضنا السابق نجد ان اهل فلسطين خلال العصر الحجري المتوسط عرفوا حياة الصيد وتأنيس الحيوانات والزراعة وبناء القرى منذ ١٢٠٠٠ سنة ق•م • وظام القبة المعماري وكذلك المقابر والنحت والنقش وأدوات الزينة • وتشير هذه الحضارة الى بعض الدلالات الكنعانية العربية وأهمها :

١ ــ النحت الذي عثر عليه في مغارة الوادي ويمثل عضو تذكير •• هذا النحت كان يستخدم في مراسم عبادة داخل المغارات • وقد استخدم النحت الذي يمثل عضو التذكير في الاحتفالات السنوية التي تقام في كل عام لدى الكنعانيين وخاصة منذ ٣٠٠٠ سنة ق•م • وتعرف باحتفالات عيد إله الخصب في مطلع الربيع وعيد آخر في تموز •

٢ ــ ظام القبة والذي عرف منذ ١٢٠٠٠ ق•م •• وكان من أهم ميزات العمارة الكنعانية خلال عصر البرونز والحديد والعصور التي تلت وقد ظهر طراز القبة في مسجد قبة الصخرة ، فالمهندسون المعماريون والعمال هم عرب من فلسطين وسوريا •

أهم المراجع : ــ

١ ــ د • فيليب حتي ــ تاريخ لبنان ــ مترجم ، دار الثقافة بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثانية ١٩٧٢ م •

٢ ــ ارنست فيشر ــ ضرورة الفن ــ مترجم ــ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ ١٩٧١ م ص ٢٠٣ •

٣ ــ Kathleen, M. Kenyon : Excavations at Jericho 1955, From Exploration , Quarterly , october , 1955. Page 110,111.

٤ ــ Kathleen, M. Kenyon : Excavations at Jericho , From Palestine Exploration, Quarterly, July - December 1956 - Page 6.

٥ ــ Kathleen, M. Kenyon : Jericho , Archaeology - Vol , 20, No. 4. (October 1967) D. 267.

٦ ــ د • وليم ف • اولبريت ــ آثار فلسطين ــ مترجم ــ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ــ الكتاب الحادي عشر ــ ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ــ ٦٣ •

د • رشيد الناضوري ــ جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا ــ الكتاب الثالث ــ دار الجامعة العربية ــ بيروت ــ يناير ١٩٦٩ م ص ــ ٣٦ •

فلسطين
خلال العصر الحجري الحديث

إن معظم آثار العصر الحجري الحديث بفلسطين عثر عليها المنقبون في مدينة أريحا • وتقول الآنسة كينيون أن الآثار المادية الغزيرة في أريحا ، تدل على أن الانسان قد خطا نحو المدنية منذ نحو ٧٠٠٠ سنة ق٠م ٠ « وان حضارة أريحا كانت بداية الخيط والاشعاع الاول لبداية الحضارة الانسانية » • إذ إن البقايا الاثرية للعصر الحجري الحديث والعصر الحجري المتوسط « النطوفية المتأخرة » تعطينا دلالات على أن مدينة أريحا استقرت استقرارا كاملا في نحو ٨٠٠٠ ــ ٧٠٠٠ سنة ق٠م ٠ (١) وقد سبق أن أوردنا أنه كان يسكنها في البداية نحو ثلاثة آلاف نسمة على مساحة عشرة أفدنة وتبدو وكأنها بيت واحدعلى ما فيها من الوسائل الدفاعية •

وقد دلت البحوث الاثرية على أن أريحا حلت بها أمطار غطت المساكن القديمة ، ومن ثم اضطر اهلها لبناء مساكن أخرى • وقد وجد هذا النوع في تسع طبقات حفرية متتالية ،وطراز هذه العمارة الدنيوية مؤلف من غرف مجتمعة حول باحة تتوسطها ، بحيث تلتقي بداية الغرف مع نهايتها ، وهي ذات زوايا قائمة وجدرانها صلبة وأبوابها عريضة ، وذات أقواس دائرية • وقد بنيت الجدران بقوالب من الطوب المسطح المضغوط والمصنوع باليد • أما جدران وأرضيات الغرف والباحات فقد طليت بطبقة رقيقة من الجبس المحروق • وقد احتفظت الجدران والارضيات المصقولة بعناية بلمعانها حتى وقت العثور عليها • وقد زينوا الجدران بعظام أسماك السردين (٢) وتاريخ هذه المباني يعود الى ٦٨٠٠ سنة ق٠م • وقد ظهر نوع آخر من المباني يتكون من قطع من الحجر الضخم ، اصطف بعضها الى جوار بعض ، ووضع بعضها فوق بعض ، ثم غطيت من الخارج بالتراب أو الحجارة ، وقد وجدت مبانٍ عديدة من هذا النوع منتشرة بفلسطين وحول نهر الاردن على ضفتيه وتاريخها يعود الى ٦٢٥٠ سنة ق٠م ٠(٣) وقد استمرت حتى المرحلة الثانية من العصر الحجري الحديث المتضمن للصناعة الفخارية وكذلك العصر الحجري النحاسي الى جانب بناء القرى المنظمة ذات البيوت المتباعدة شيئاً ،والتي امتازت بزواياها القائمة وبجدرانها المبنية بجواليص الطين المستدير • وقد اهتموا أيضا بالعمارة التحصينية الدفاعية وهي تتكون مما يأتي :

١ ــ الخندق : وهو محفور في الصخور الصلبة يبلغ عرضه نحو ٢٧ قدما وعرضه ٩أقدام وكانوا يملؤونه بالماء الذي يجلب مع نبع أريحا، ويدل على ذلك طبقة الطمي التي تملأ الخندق •

٢ ــ البرج : دائري الشكل وقد بني من الحجارة ، وهو مصمت الجدران ليس به فتحات وارتفاعه ٣٠ قدما ، به سلم حجري يوصل الى قمة البرج وعدد درجاته ثمان وعشرون درجة • وهي تنزل بزاوية ٣٠ درجة ، وعلى عمق ٢٠قدما، وكل درجة من درجات السلم تتكون من طبقة



حجرية واحدة وقد قام البناء بتنعيمها باستخدام المطرقة • أما السقف فقد صنع بالطريقة التي استخدمت في السلالم نفسها ، وقد وصل عرض بعض تلك الحجارة الى متر ونصف • أما جدران مدخل السلالم فقد غطيت بطبقة من الجبس المصنوع من الطمي • ويرى بوضوح آثار أصابع الاشخاص الذين قاموا بتغطيتها بالجبس، وفي أسفل مدخل السلالم وجد ممر أفقي يتجه ناحية الشرق • وتعتقد الآنسة كينيون أنه ربما أدى الى فتحة لخارج البرج •

٣ ــ الاسوار : أحيطت أريحا بأسوار وهي مشيدة من الحجارة ، ومنها سور واضح يتكون من حجارة ، على ارتفاع ٢٠ قدما •

وكان لهم معابد اذ عثرت الآنسة كينيون على معبد مؤلف من غرفة مستطيلة الشكل أبعادها ٦×٤ مترا ، وأرضيتها مغطاة بالجبس المصقول •

وفي أحد أطرافها محراب مؤلف من جدران منحنية باتزان ، وبه قاعدة حجرية من الصوان الخشن ، وبجوارها ملقى حجر بركاني شكل بعناية ، كذلك أشكال نذرية تمثل حيوانات مصنوعة من الطمى أو الصلصال ، وهناك وسط الغرفة حوض من الحجر مستطيل وصغير ، غطي سطحه بطبقة من الجبس المصقول ، ثم حرق الجبس بعناية بالنار (٤) •

وقد وجدت أيضا مبنى غريب الشكل يعود الى نفس مرحلة المباني الملتفة حول باحة تتوسطها ، وقد وجدت جماجم للاطفال ، بل طفل كامل ، وقد وضعت جميعا تحت أساس هذا المبنى الغريب ، ويدل هذا أنها ضحية أو قربان (٥) وهذا يذكرنا بمعابد الكنعانيين العرب فمن عاداتهم دفن موتاهم من الاطفال تحت اسس المباني الدينية والدنيوية •

وقد عثر على شواهد دينية حجريةمنتشرة بكثرة في فلسطين وعلى جانبي نهر الاردن وهي مؤلفة من صفوف ودوائر حجرية ، وهذه أيضا عادة عربية كنعانية ظهرت بشكل واضح بفلسطين منذ عصر البرونز المبكر وكذلك في سوريةولبنان والاردن • إذ كانوا يضعون حجارة رمزيةللالهة تحت الاشجار علىالاماكن المرتفعة • وهيضخمة ومستطيلة الشكل ، ومنها حجر يمثل إله القبيلة وحجر يمثل إله الخصب وحجر هو مذبحصخري للقرابين •

وتفيد الحفائر الاثرية انهم آمنوا بالخلود والحياة الاخرى بعد الموت : ولذلك حرصوا على دفن موتاهم تحت أرضيات منازلهم • كما عرفوا فن النحت ، وخاصة التماثيل البشرية وتتكون من (أب ــ وأم ــ وابن) وهذا النوع من التماثيل حجمها ثلثا الحجم الطبيعي للانسان وهذا النحت الثلاثي يذكرنا بالثالوث في العبادة العربية الكنعانية • فيدل علىانهم عرب كنعانيون في هذه المرحلة • وقد وجدت الآنسة كينيون تمثالا" تعتقد أنه يخص أم الالهة وهو صغيرجدا ولا يتجاوز حجمه أكثر من حجم الاصابع طولا ورأسه مفقود ، أما باقي التمثال فهو موجود • وقد أظهر المثّال العباءة الفضفاضة التي تتجمع حول خصر الالهة ، كما أظهر ذراعيها اللتين تضعهما حول خصرها ، أما الايدي فتمسك بها

صدرها وهذا التمثال على حسب اعتقادي هو تمثال لآلهة الخصب في أريحا وهي التي عرفت أيام العرب الكنعانيين باسم الآلهة عناة • حيث كانوا ينقشون رسوماً لها خلال عصر البرونز وما تلاه بنفس الطريقة التي ظهرت عليها تمثال أريحا • كما أن تمثال هذه الالهة يشير الىمعرفة أهل أريحا للنسيج منذ فترة لاتقل عن ٧٠٠٠ سنة ق•م • لأن التمثال يعود تاريخه الى٦٨٠٠ سنة ق•م • (١) •

وقد عرفوا النحت الذي يمثل الحيوانات، حيث عثر على اعداد كبيرة منها ، كأشكال نذرية مشكلة — منها الماعز — الماشية والخنازير كما وجدت تماثيل لاعضاء التذكير داخل المعابد وهي عادة عربية كنعانية الغرض منها تقديس الخصب•

ووجد داخل المعابد رموز عربية كنعانية منها قاعدة حجرية صنعت من حجر الصوان الخشن وحجر بركاني شكل بعناية • وقد وجد الى جوارها الاشكال النذرية التي تمثل الحيوانات (٦) •

وأهم ما يميز هذه المرحلة ، « النحت الصوري » وقد تمثل بجماجم مغطاة بطبقة من الجبس ، بعضها يعود الى ٦٨٠٠ سنة ق•م • والبعض الى ٥٠٠٠ سنة ق•م • وعليها علامات بعضها له شنب مرسوم وبعضها حليق الرأس ، وقد ظهر على الجزء العلوي للرأس في بعضها غطاء ، يشبه غطاء الرأس المعاصر لدى السيدات الفلسطينيات ويعرف حاليا باسم « الوقاية » أو « الصمادة » • وظهرت هذه خلال فترات عصر البرونز والحديدي والعصر اليوناني الروماني واستمرت دون انقطاع حتى الآن ، وهي تؤلف وثيقة أو هوية اثبات لاستمرارنا على أرض فلسطين •

أما الرؤوس الحليقة فانني أعتقد أنها رؤوس كهنةمعابد • وهم عرب كنعانيون ، وكان الرأس المحلوق ميزة من ميزات الكهنوت العربي الكنعاني ، وقد ظهر الكهنة الكنعانيون العرب على جدران طيبة عام ١٤٢٠ ق•م • وهم حليقو الرؤوس ، يقدمون الجزية •

وقد عرفوا الفخار في هذه المرحلة وهو نوعان — •

النول الاول — الفخار غير المحروق : وقد وجدت كينيون خمس قطع دائرية الشكل صنعت من الصلصال وهي رقيقة تماما مثل النقود ويعتقد أنها قطع عملة ، كما عثرت على قطعة أخرى مخروطية الشكل من الصلصال وغير محروقة وتتميز بأن عليها أشكال خطوط ملتوية، وتعتقد الآنسة كينيون أنها أختام ، وتاريخها يعود الى ٦٨٠٠ ق•م •

النوع الثاني — الفخار المحروق ويعود تاريخه الى ٥٥٠٠ ق•م • يعتقد بعضهم أنه يعود الى ٥٠٠٠ سنة ق•م •

والفخار المحروق عثر عليه كل" من جارستانج وكينيون في أريحا ، واستكليس في أريحا وقرى اليرموك • والفخار الذي عثر عليه جارستانج اتخذ في بادىء الامر شكل الاحواض المجوفة في الارض ومن ثم بُطن بطبقة من الكلس، ويبدو أن ذلك استخدم مخازن لحفظ الحبوب وجمع الماء • ثم تطور واتخذ أشكال جرار لها

حواف بسيطة وقعر مسطح ومسكات على شكل الكرة او العروة •

أما فخار استكليس فقد زين برسوم تمثل هيكل السمكة •

والفخار الذي عثرت عليه الآنسة كينيون في حفائرها في الطبقة (٩) يتميز بانه مخلوط بالتبن ومزين ببعض الاشرطة من عظام السردين، وقد رسم الفنان عليه أشكالاً هندسية اشتملت على وحدات هندسية منها المثلثات والخطوط المتعرجة بزوايا هندسية منفرجة • والجدير بالذكر أن بعض اشكال فخار أريحا تشبه اشكال الفخار الفلسطيني المعاصر شبها واضحا وأهمها الاناء المعروف حاليا (بالزبدية أو صحن أبو عشرة أو اللقان) وفخار أريحا يعود الى ٥٠٠٠ سنة ق•م • على الاقل • وهذا التشابه راجع للمحافظة على استمرارية الشكل عبر التاريخ ليبقى شاهدا على وجودنا القديم في فلسطين •

من خلال عرضنا السابق ، نجد أن حفائر فلسطين والتي تعود الى العصر الحجري الحديث • تدل على أنها عربية كنعانية •

« الباب الرابع »
فلسطين
خلال العصر الحجري النحاسي
(٥٠٠٠ ــ ٣٠٠٠ سنة ق•م)

قامت خلال هذا العصر عدة حضارات هامة متصل بعضها ببعض أهمها : أريحا ــ ووادي غزة ــ والغسولية ــ وبئر السبع ــ ومجدو ــ وبيت شان ــ والخضيرة ــ وتل الفارعة ــ وتل جازر ، حيث تطورت الحياة في جميع مظاهرها ، واكتشف معدن النحاس ، وظهرت الزراعة المعتمدة على الري ، وقد شملت عدة انواع من الخضراوات وهي الخس والبصل والثوم والحمص والفول والتوابل •

ويعتقد أنها اثرت في ارتفاع قامتهم وقوة أبدانهم قياساً الى من تقدموهم من اسلافهم ، ويمكن القول انهم كانوا مزارعين بالدرجة الاولى ، وقد عرفوا الى جانب زراعة الحبوب ، زراعة الزيتون ، والنخيل ، اما حياة الصيد فكانت بالنسبة لهم شيء ثانوي (١) •

كما كانوا يزرعون العنب والتين ، وقد عثر مكالستر على حفر ذات تجويف خصصت

أهم المراجع : ــ

١ ــ : Kathleen, M. Kenyon — Jericho , Archaeology , vol , 20, No. 4. (October 1967 ‑ P. 268 , 270.

٢ ــ : Kathleen, M. Kenyon — Excavations at Jericho , 1956 From Palestine Exploration Quarterly July - December , 1956. Page 6.

٣ ــ د رشيد الناضوري ــ جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا ــ الكتاب الاول ــ ص ١٤٠ ــ دار الجامعة العربية ــ بيروت ــ سبتمبر ١٩٦٨ م •

٤ ــ Excavations at Jericho - 1954, — by Kathleen M. Kenyon (Deirctor British School of Archaeology in Jerusalem Page 9).

٥ ــ نفس المرجع السابق ص ٩ ــ

٦ ــ An Article from Scientific — American, April 1954, Vol. 190, No. 4 (Ancient Jericho) by Kathleen M. Kenyon, Page 81.

لعصر العنب والزيتون ، وقد عثر على معاصر الثمار المنقورة في الصخر ، في أماكن متعددة وخاصة مدينة الخليل •

وأهم آثارهم المعمارية تتكون من منازل ومعابد وأضرحة • فالمنازل في الغسولية ، وقد بنيت جدرانها من الطوب اللبن المتوسط الحجم على اساس من الحجر ، أخذ من المنطقة نفسها ، وقد غطيت سقوفها بالقصب وأغصان الاشجار ، وامتاز فن المعمار بالابنية الكبيرة الحجم والتخطيط المعماري المستطيل ، وبعض المباني تقابل منازلها باحة ، وقد احيطت المنازل من الخارج بأسوار ، وبعض منازل الغسولية شيدت أسسها وجدرانها من الطوب اللبن • وأما السقوف فقد استخدموا الخشب في تغطيتها لوفرته في المنطقة نفسها • وكان لهم معابد في الغسولية وتل جازر وبيت شان والخضيرة وغزة وبئر السبع •

واهتموا ببناء الاسوار حول مدنهم ، ومنها تل جازر حيث احيطت بسور من الطوب الخشن وبقيت مدينة أريحا محاطة بأسوار عالية وخنادق مملوءة بالماء وبرج حجري يحمي المدينة •

وفي بئر السبع حفروا منازلهم داخل الصخور ، ويؤدي اليها ممر أو ممارّ ، والممر يؤدي بدوره الى غرف جانبية وقد حفرت في الصخر •

كما عرفوا التصوير الجداري : ـ حيث رسموا على جدران مدينة الغسولية لوحات تصويرية متعددة الالوان ، وتعتبر أقدم فريسكو في العالم القديم (٢) •• واسلوب هذه اللوحات يتميز بالطابع الزخرفي الهندسي ، وأهم هذه اللوحات ، لوحة « النجمة الثمانية » •

وكانوا يرمزون بهذه النجمة الى كوكب الزهرة ، وكانت هذه معبودة لديهم كما كانت الهة الخصب • وقد قلدها اليهود فرسموا نجمة سداسية •• نقلا عن النجمة الثمانية الكنعانية التي يعود تاريخها الى ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد •

وظهرت هذه النجمة الثمانية في الزخرفة الاسلامية على ايدي فناني فلسطين وسوريا الذين قاموا بتشييد مسجد قبة الصخرة وزخرفته •• وهذه النجمة ما زالت تظهر حتى أيامنا هذه على الازياء الفلسطينية المطرزة وتعتبر من أساسيات زخرفة فن التطريز الفلسطيني المعاصر •

وهناك عدة لوحات مرسومة ، منها لوحة تمثل طائرا ملونا يحاكي الطبيعة ، ولوحة ملونة تمثل رجلا يجلس امامه شخصان ، يلبس احدهما حذاءً مطرزا (٣) •• وبهذا فقد عرف التطريز بفلسطين منذ ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، كما رسموا اشكالاً آدمية وحيوانية على سطوح الاحجار ، حيث عثروا في مجدو على رسوم تمثل ذلك ، كما عثروا على (دلايات) مرسوم عليها ، منها دلاية تمثل فتاة وبيدها زهرة ، ويعود تاريخها الى الالف الرابعة قبل الميلاد •

وعثر المنقبون على تماثيل نذرية تمثل البقر والماعز والاغنام وعلى تمثال يمثل جسد امرأة عثر عليه في بئر السبع • وهذه تمثل الهة الخصب عناة او عشيرة الكنعانية • هذا وقد قدسوا الحمامة ونحتوا لها تماثيل ، وقد لازمت كهنة



المعابد الكنعانية خلال العصور التاريخيةوقدسها الفلاحون في فلسطين لصوتها ، يقولون انها مباركة وتسبح ربها .

كما عرفوا صنع الفخار ومهروا في زخرفته وهو نوعان : الاول الفخار الجنائزي والثاني الفخار الدنيوي. والفخار الجنائزي : يمثله المدافن او التوابيت الفخارية ، وبعضها على شكل بيوت وترتكز على قوائم اسطوانية اربع ولها سقف دائري وهو غير مزخرف ، وتوابيت اخرى مؤلفة من صندوق مستطيل من الطين ، يميل من الاعلى مثل « الجملون » وعليه زخارف على اسلوب اللوحات الجدارية التي عثر عليها في مدينة الغسولية ، وقد وجدت بالقرب من قرية الخضيرة على الساحل الفلسطيني .

وزخارف هذه التوابيت ما زال يوضع على الازياء الفلسطينية المعاصرة . وقد عثر في تل الجزر بالقرب من ابو شوشة ، على أوانٍ فخارية مملوءة بالطعام والشراب بجوار الموتى ، وهناك جرار فخارية كان يوضع بها الاطفال الموتى ويدفنون تحت أسس المباني والهياكل أو المعابد ، عثر عليها في تل جازر وبيت شان والغسولية وأريحا . وما زالت هذه العادة الكنعانية العربية تمارس لدى الفلسطينيين فعندما يموت طفل دون السنة ، فانهم يضعونه داخل جرة فخارية ثم يدفنونه .. وهذه العادة الاسطورية تعطي دلالة على استمرارية شعب واحد عربي كنعاني على هذه الارض .

وأما الفخار الدنيوي : فقد عثر على أعداد كثيرة منه في بيت شان وتتميز بلونها الاسود ، والرمادي المصقول ، والايدي المموجة . وقد وجد منه نماذج في مصر السفلى ويعود تاريخها الى عصر ما قبل الاسرات ، كما عثر في مجدو على أقدم أنواع الفخار المزين والمنقوش بزخارف كثيرة والملون وبه تطعيم ، ويعتبر فخار أريحا من أجمل أنواع الفخار ، ويتميز بتعدد أشكاله وتنوعها ، وما زال بعضها بشكله حتى الآن دون تغيير ومنها الاناء المعروف باسمه الشعبي « الزيدية - صحن ابو عشرة - اللقان » وكذلك الإناء المعروف باسم « البوشة والبقلوشة ، والزير » .

وهذا الحفاظ على الشكل دلالة على الاستمرارية دون انقطاع ... وهكذا يتضح لنا من العرض الموجز لفلسطين خلال العصر الحجري النحاسي ، أن شعبها كان عربياً كنعانيا وأن هذا الشعب له ارتباط بالشعب العربي الفلسطيني المعاصر ، بدلالة محافظة أهل فلسطين المعاصرين على صناعات وعادات أجدادهم الكنعانيين العرب .

أهم المراجع : -

١ - د. وليد الجادر - دراسة مترجمة في حضارة العراق والشرقين الاوسط والادنى القديمة - مجلة الاقلام-بغداد - العدد السادس، ص ٧٣ .

٢ - عبد الرحمن المزين - رسالة الماجستير - الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ ١٩٧٥ - جامعة حلوان - ص ٨٥ .

٣ - د . وليم ف . أولبرايت - آثار فلسطين ص ٧١ - مترجم - المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية - ١٩٧١ م .

« الباب الخامس »

فلسـطين
خلال عصر البرونز
٣٠٠٠ ــ ١٢٠٠ سنة ق٠م

تعتبر مرحلـة عصر البرونز مـن المراحل التاريخية الهامة ، ذلك لما حدث خلالها من اتصال وتنقل وغزوات بالنسبة لسكان العالم القديم ، ولوقوع فلسطين في هذه المرحلة بين حضارتين عظيمتين ، مصر ، وأرض الرافدين ، وقد انعكس ذلك كله على الحياة والمجتمع بفلسطين ٠

ويقسم الباحثون عصر البرونز الى ثلاثة عصور وهي كالتالي :

١ ــ عصر البرونز المبكر ويمتد من ٣٠٠٠ ــ ٢١٠٠ سنة ق٠م ٠

٢ ــ عصر البرونز المتوسط المتأخر ويمتد من ٢١٠٠ ــ ١٦٠٠ سنة ق٠م ٠

٣ ــ عصر البرونز المتأخر ويمتد من ١٦٠٠ ــ ١٢٠٠ سنة ق٠م ٠

وسأتحدث أولا عن عصر البرونز المبكر ٠

مع بداية هذا العصر حدث انتشار للعرب داخل حدودهم وظهرت تنقلات بشكل واضح وملموس ٠ حيث انضم لعـرب فلسطين عرب قادمون من أرض الرافدين ومـن جنوب بلاد العرب ٠ وقد أطلق على العرب سكان الساحل السوري (سـوريا ــ لبنـان ــ فلســطين) الكنعانيون وعلى سكان المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل « العموريون » ٠

وأهم مدن الكنعانيون بفلسطين أريحو ــ بيت شان ــ شكيم ــ تل بيت مرسيم ــ عكو ــ يافا ــ عسقلان ــ غزة ــ بئر السبع ــ عقرون ــ ــ تل جاز ــ تل الفارعة ــ أورشليم ــ مجدو ــ بيت يراح ٠

وقد سموا بالكنعانيين نتيجة لاشتهارهم بالصبغة الارجوانيـة الحمـراء ، التـي كانوا يستخرجونها من أصداف بحريـة تكثر علـى الساحل الكنعاني ، واسمها اصداف الموركس وهم لم يتاجروا بالصبغة ، بل تاجروا بما انتجته نساؤهم من الثياب المطرزة والمصبوغة بالصبغة الارجوانية ٠

وكان هؤلاء قبائل تنافست فيما بينها على الرغم من صلة القرابة والجنس بينهم ، فدفعهم ذلك الى بناء قلاع ضخمة ، وأسوار عالية حول مدنهم كي تحمي كل قبيلة نفسها وتدعم حكمها، ولهذا انتشر نظام المدن المستقلـة ، تؤلف كل مدينة او مدينتين مملكة ، وكـذلك الحال في سوريا ولبنان والاردن ٠

وقد راعوا في بناء مدنهم المحصنة ان تكون على تل مرتفع عن سطح الارض التـي حوله بشكل ملحوظ ، وأن تكون الارض منبسـطة شيئا حول التل بحيـث يمكن رؤيـة الاعداء بسهولة اذا قدموا الى قلعتهم التي يقيمون فوقها مدينتهم ، كذلك يجب ان يكون التل بالقرب من مصدر ماء للشرب ٠

وقد بنوا مباني دنيوية ودينية وجنائزية ٠ ولـكن الاهتمام الكبير وجه الى (الدفاعات) في جميع المدن ، فمثلا ، بلغ سمك خربة كراك نحو ثمانية امتار ، كما عثر على مبنى محصن في

خربة كراك ، بلغ سمك اسواره نحو ثمانية امتار ، كما عثر المنقبون على مبنى مستطيل الشكل أطواله تراوح بين (٤٠ ــ ٣٠ مترا) وسمك جدران المباني عشرة أمتار • ووجد بالمبنى مدخل في جهته الشرقية ، وقد بلغ عرضه نحو سبعة امتار (١) • وهذا المبنى يدل على استمرار نظام القبة خلال عصر البرونز وقد ظهر بفلسطين منذ ١٢٠٠٠ سنة ق•م ، وما زال حتى الآن •

شاع طراز الاسوار العالية في كافة المدن ، وهو في الغالب مكون من جزئين ، سفلي منحدر من الجانبين ، وذلك لكي يتحمل سمك الجدار، ويدعم به المبنى وعلوي قائم • وقد عثر على هذا الطراز في بيت شان ومجدو وتل جاز حيث بلغ سمك جدرانها نحو اربعة امتار ونصف •

ولكن مدينة اريحا امتازت عن بقية المدن الفلسطينية بفن (الدفاعات) حيث اهتموا بها الى حد كبير ، وتتكون الدفاعات من خنادق ، ثم منحدرات مائلة يتوجها من اعلى جدران شديدة الارتفاع وعريضة • وقد عثر في احدى حفائر اريحا على خندق كثير الاجزاء على شكل ٧٧ ويحيط به منحدر طوله ١١ مترا ، وارتفاعه ٧٥ و ٧ مترا وهي من الطوب • وداخل هذه الاسوار وجدت مبان بلغ سمك جدرانها حجرا واحدا ، وهي أحجار طرية ناعمة مصنوعة من الصلصال الاخضر ، وقد وجدت في حالة غير جيدة ، ويبدو من الحفائر انها بنيت ثلاث مرات• والمباني المبكرة منها بنيت منفصلة بعضها عن بعض بحشوات ركامية سميكة ، ولكن المباني المتأخرة منها قد تميزت بالحشوات الطينية والحجرية ، والجدران القائمة من الطوب (٢) •

تبلور الفكر الديني الاسطوري الكنعاني، في سورية عامة خلال هذه المرحلة ومنها فلسطين فابتكروا الهة وبنوا لها معابد واصبحوا يقدمون لها القرابين ، ويقيمون لها مواسم سنوية • واهم هذه الالهة « عليان بعل ــ عناة ــ عشيرة او عشتر ــ مت ــ ايل ــ حارون ــ شالم اوشليمو ــ داجون » • والاسطورة الكنعانية بوجه عام هي تجسيد للمظاهر الطبيعية ، حيث يصور الصراع بين المعبود بعل ، إله الخضرة والامطار، وبين المعبود « مت » إله الموت والحصاد ،فيلتقي بعل مع مت ، ويقضي مت على بعل ، وفي هذه الفترة تكف الحياة عن الانتاج والخصب • وتبحث عناة ومعها عشتر عن المعبود بعل أو « عليان بعل » الى أن تعثر عناة على مت وتذبحه بسكين الحصاد ، المنجل ، وتذروه بالمذراة في حقول كنعان ، فتعود الخضرة اليها وهكذا تتوالى العملية ، فاذا ظهر عليان بعل ، اختفى « مت » •

وفي هذا حسب اعتقادهم استمرار لفصول السنة ، وفي كل عام كانوا يحتفلون باليوم الذي مات فيه إله الخصب فيقيمون عيداً سنوياً مدته سبعة أيام ، يقومون بطقوسهم ، وأهمها رقصة المعابد ، وهي الدبكة ، التي يرقصون فيها على قرع الطبول ونغمات الناي • وهناك نصوص تشير الى انه كان للكنعانيين العرب ، عيدان عيد في بداية الربيع ، وعيد في شهر تموز •

وعندما حل الدين السماوي ، تركوا

الاساطير وإلهتها • ولكن أعياد الالهة لم تمت أو تنته ، بل تحولت الى الافراح الفلسطينية ، فالفرح الفلسطيني أو العرس ، يقام لمدة سبعة ايام بلياليها تتخلله رقصات الدبكة ، وهي في الاصل رقصات المعابد الكنعانية •

وأسماء الالهة الكنعانية ما زالت تطلق على قرانا ومدننا حتى الآن وهذه الاسماء هي : داجون او دجاني ــ وعناة ــ وعشيرة ــ وعليان •

وهذا الحفظ التاريخي للعادات والأسماء الشخصية ، وأسماء القرى والمدن هو دلالة على الاستمرارية والارتباط بتراث أجدادنا العرب الكنعانيين •

وقد أقاموا لآلهتهم الاسطورية معابد عديدة في مجدو وأريحا وبيت شان وغزة ، ويعود تاريخها الى مطلع الالف الثالث قبل الميلاد • وتحت جدران هذه المعابد عثر على جثث أطفال رضّع ، وهذه العادة كنعانية • وداخل المعابد عثر على صناديق صنعت من الفخار أو الصلصال لخزن الغلال ومنها معبد أريحا وكذلك معبد في تل الدوير (٣) •

وخير مثال للمعبد الكنعاني ، هو معبد مدينة عاي • وهو مستطيل الشكل والباب الرئيسي في أحد أضلاعه المستطيلة • وقد بُني بحجارة غير منتظمة ، سويت بالدق والنحت • (كما هو متبع حتى الآن في بناء القرى الجبلية والمدن مثل الخليل ونابلس ورام الله وبيت لحم والقدس) أما سقف المعبد فقد كان مقاما على أعمدة خشبية قائمة منحوتة نحتا جيدا •

والواقع أن جميع المعابد التي عثر عليها كانت مؤلفة من غرفة واحدة لها باب في احدى أضلاعها الطويلة • ويعود ذلك الى ان الاحتفالات الدينية كانت تقام في الهواء الطلق أمام المعابد الجنائزية ، فتتمثل في المقابر العديدة التي عثر عليها المنقبون في أريحا وتل الفارعة وخربة كراك وغيرها من مدن عصر البرونز المبكر وهي نوعان :

الاول : مقابر جماعية ، وهي قبور واسعة جدا ، وتحتوي على مقابر فردية ، بداخلها أوعية فخارية قرابين ، وأواني طعام وشراب لاعتقادهم لعالم الآخر •

الثاني : مقابر فردية وهي صغيرة مخصصة لفرد واحد ، وأثاث القبر في الغالب يتكون من خنجر أو دبوس شعر وخرز وأواني طعام ، وشراب ، والجدير بالذكر أن هذين النوعين يستخدمان حتى الآن في مدن فلسطين وقراها •

وقد اهتموا بالصناعات الفخارية ، وهي عدة أنواع :

١ ــ الفخار ذو الكسوة الشريطية •
٢ ــ الفخار ذو الحزم الزخرفية الملونة •
٣ ــ فخار خربة كراك •
٤ ــ الفخار ذو المقابض الظرفية •

ومعظم أنواع هذا الفخار ما زال يصنع حتى الآن بفلسطين ولاسيما في غزة وخان يونس والخليل • ومن هذه الاشكال (الابريق ــ والزبدية وصحن ابو عشرة واللقان والبوشة والبقلوشة والزير) •

كما عرفوا فن التطريز يؤكد هذا ما عثر عليه المنقبون من آثار الأنوال وأثقال الانوال

وفلكات الغزل في كل بيت من بيوت عصر البرونز المبكر •

وهكذا يتضح لنا عروبة فلسطين خلال عصر البرونز المبكر ، تؤكدها الدلالات الاثرية، الملموسة والعادات والتقاليد والصناعات التطبيقية المتوارثة حتى الآن •

أهم المراجع : ـ

١ ـ عبد الرحمن المزين ـ رسالة الماجستير ـ الفن التشكيلي ـ في فلسطين عبر التاريخ ص ١١٤ •

٢ ـ Jericho - by Kathleen M. Kenyon From Archaeology, Vol. 20, No, 4. (October 1967) Page 274.

٣ ـ Excavations at Jericho - 1954, by Kathleen M. Kenyon. (Director , British School of Archaeology in Jerusalem Page 14).

« الباب السادس »

فلسطين خلال عصر البرونز المتوسط

٢١٠٠ ـ ١٦٠٠ ق•م

تشير الحفائر الاثرية الى أن أهل فلسطين خلال عصر البرونز المتوسط كانوا يقيمون داخل مدن محصنة ، بأسوار عالية سميكة ، ومزودة بشرفات وأبراج مراقبة ، ومنحدرات مائلة بجوار الاسوار ، وفي بعض المدن كان يحفر خندق حول الاسوار يملأ ماء لحماية المدينة ، وكانت بعض المدن محاطة بسورين أو ثلاثة أسوار متتالية ، لأن المدينة لها ملك ، وبذلك فان كلمة « مملكة» في سوريا ولبنان وفلسطين والاردن ، خلال فترات عصر البرونز والحديد ، تعني مدينة أو مدينتين ، وما حولهما من أراضي زراعية ، لان كل مدينة كما سبق أن ذكرت عند كلامي عن عصر البرونز المبكر ، كانت ملكَ قبيلة ، ورئيس القبيلة هو الحاكم ، ويلقب أحيانا بالامير ولكن اللقب الغالب هو « الملك » •

وكانت كل مدينة أو مملكة مستقلة بذاتها، الحاكم وجنده يعيشون داخل أسوار المدينة ، وكان لطبقة الملاك والتجار قصور خاصة • وبقية الشعب يزرعون الارض ، ويقومون بالصناعات التطبيقية وغيرها • واذا قامت حرب أو حدث هجوم على مدينة ، فان المزارعين والتجار وغيرهم يلجؤون الى أسوار المدينة المحصنة ، وكثيرا ما كانت تنشب حروب بين المدن أو بين هذه الممالك الصغيرة ، ولذلك حرصت كل مدينة على حماية نفسها وأفراد قبيلتها • وقد حال هذا دون قيام وحدة بين ممالك فلسطين وسوريا ولبنان والاردن • بعكس مصر التي كانت تعيش تحت أمرة حاكم واحد ، إذ ساعد هذا على قيام أمبراطورية ضاربة وقوية متقدمة في جميع العلوم والفنون القديمة ، وجعلها مرهوبة الجانب في وجه المغيرين ، وكذلك الحال في أرض الرافدين، حيث قامت أمبراطورية قوية •

(وتظهر فسيفساء ، ترجع الى أمبراطورية حمورابي البابلية (٢٠٠٣ ـ ١٩٥٠ ق•م) أمراء محليين كانوا يتقاسمون بلاد كنعان « فلسطين وآمور ، أو سوريا » وكان أهم اولئك الملوك

الكنعانيين أو الفلسطينيين ملك « يبوس » أو « أورشيليمو » •• وكانت تمتد مملكته حتى الكرمل ، وهكذا تبدو أورشيليمو ، مدينة ملك السلام ، معروفة منذ العهد البابلي ، وفي جنوب فلسطين في النقب تفيد حفائر « نلسون جلويك» أن النقب كان عامرا بالسكان خلال عصر البرونز المتوسط حيث عثر على « قرى كثيرة صغيرة من الحجر تسكنها أقوام نصف بدوية ،منتشرة في كل المنطقة القاحلة التي تقع جنوبي بئر سبع) • (١) •

ويبدو لي أنهم من قبائل المدينيين الذين انتشروا حول برزخ السويس وبجنوب فلسطين وهم الذين انقذوا « سنوحي » ، ومدوا له يد العون وساعدوه في إتمام رحلته عبر فلسطين ثم لبنان ، واستقراره أخيرا في سهل البقاع بسوريا •

كما ان اسمي ملكي المدينة ، ملكيصادق وأدوناي ـ صادق (نحو ٢٠٠٠ ق•م) هما من أسماء العلم المعروفة في ذلك العهد (٢) • ويجب أن يعرف أن اسم القدس الكنعاني هو « أورشليم أو اورشالم » وقد ظهرت هذه المدينة خلال العصر الحجري النحاسي ، ودلت حفائر ايبله بسوريا ، على أنها احدى المدن الكنعانية المعروفة منذ ٢٥٠٠ ق•م واسمها مشتق من اسم الإله الكنعاني « شالم » • أي أن اسمها « أورشالم أو أورشليم » •

وتشير الحفائر التي قامت في فلسطين الى أن هناك وافدين جداً من سوريا الشمالية ، ينتمون الى سكان فلسطين الذين استقروا قبلهم بآلاف السنين ، ويبدو أن الوافدين الجدد ، هم عموريون من القبائل المتجولة التي لم تستقر بعد ، وهؤلاء وصلوا الى دلتا النيل •

ويعتقد بعض الباحثين أن الدافع لذلك اقتصادي ، وربما كان لحصول جدب في منطقة الشرق الادنى بأسره • وقد أشار الى ذلك مستشهدا بتسجيل « الملك أوناس آخر ملوك الاسرة الخامسة في الطريق الجنزي الخاص بهرمه ، لأحداث مجاعة شديدة في مصر » (٣) •

وعهده قريب من توقيت هذه الهجرات ، بل وتشير الحفائر الى أنه « في نحو ٢١٥٠ ،سنة ق•م ، غزا الاموريون فنيقيا وفلسطين ، حيث عم الخراب والحرائق معظم المدن » (٤) •

وتشير الحفائر أيضا أن العموريين وصلوا من شمال سوريا مع بداية عصر البرونز المتوسط، وساندوا الاكاديين أبناء جنسهم فسيطروا على السومريين ، وأخضعوهم لسطانهم ، وذلك نحو ٢٢٣٧ ق•م وقد برز منهم ملك لمدينة عرفت باسم بابل ، واسمه « سوموابم » ولكن سرعان ما أصبح قوياً فعين نفسه ملكا وذلك في نحو ٢١٠٥ ق•م • وهو يعتبر مؤسس مملكة بابل الاولى ، التي كانت عاصمتها مدينة بابل • ولكن هذه المملكة قويت وأصبحت بعد ذلك بقرن ، عاصمة أول أمبراطورية عربية عظيمة في أرض الرافدين وذلك على يد حمورابي « ٢٠٠٣ ــ ١٩٦١ ق•م • » •

كانت بابل المدينة الاولى والاجمل بين مدن غربي آسية ، ويبدو أن هناك هجرة عمورية

أخرى خرجت فعلا من سوريا الشمالية ، في اتجاه آخر وذلك في فترات متقطعة بين ٢٣٠٠ ، و ٢١٥٠ وحتى ٢٠٠٠ ق٠م ، وقد غزت فلسطين، وظهر ذلك واضحاً في حضارة أريحا ولاكيش وتل بيت مرسيم ومجدو وبيت شان ، كما غزت الساحل السوري ، ويشير الى ذلك تدمير مدن عصر البرونز المبكر الرابع بفلسطين ، كما ظهر أيضا على ساحل فلسطين ، وعلى الساحل السوري في جبيل وأوغاريت وصوروصيدا ٠ ولكن هؤلاء سرعان ما ذابوا في اخوانهم من العموريين والكنعانيين الذين سبقوهم الى الاستقرار والتطور والسكن داخل المدن المحصنة وترك مرحلة البداوة ٠

ولذلك نرى سكان فلسطين خلال هذه الفترة ، على رغم أنهم عموريون وكنعانيون فإن هجرتهم أو تنقلاتهم المتتالية جعلت أسبقهم اكثر استقرارا وتطورا ٠ ولهذا كان هناك سكان مدن محصنة مثل أريحا وشكيم ومجدو وبيت شان ويبوس أورشالم وعسقلان وبافي وشاروهين وبيت شمس وهازور ، وتل بيت مرسيم وعاي وتل الجزر وبئر السبع ، وغيرها ٠ كما كان على جانبي نهر الاردن قبائل بدوية ، ونصف بدوية وذلك في أواخر القرن العشرين قبل الميلاد ، وحتى بعد ذلك بقي شرقي النهر مأهولاً بالسكان ، ولكنهم ظلوا بدوا رحلا ، كما تشير الى ذلك نصوص اللغات المصرية من الاسرة الثانية عشرة ٠

ويفهم من النصوص المصرية أن فلسطين ابتداء من بداية هذا العصر أصبحت علاقتها أوثق بما يجاورها منها في عصر البرونز المبكر ، وخاصة خلال الفترة الممتدة منذ أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ولكن بعد نحو عام ١٧٥٠ ق٠م ، وبعد سقوط الاسرة الثانية عشرة المصرية ٠ لم تستطع مصر بسط نفوذها من جديد إلا على « جبيل » ٠

بدأ نفوذ الهكسوس العسكري بالظهور وذلك قبل نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد بوقت قصير ، واستمر نفوذهم هذا حتى قبيل عصر البرونز المتأخر في مصر ، وبقي في بلاد كنعان قوياً حتى خلال القرن الاول من عصر البرونز المتأخر ٠ وقد اختلفت الآراء حول هوية ذلك الشعب الذي يسمى بالهكسوس ، والذي امتاز بقوته العسكرية وميله للحرب واستخدام المركبة الحربية التي تجرها الجياد ، ولكن اتضح لي من خلال بحثي أنهم عرب من الكنعانيين والعموريين « سكان سوريا ولبنان وفلسطين والاردن » ٠

ونستطيع أن نتبين ذلك من خلال الآتي :

١ — المؤرخ المصري مانيثيو ٠ هو أول من استخدم اسم الهكسوس أو لفظة الهكسوس وهذا المؤرخ ظهر متأخرا إذ كتب باليونانية وفسر اسم الهكسوس على أنه يعني « الملوك الرعاة » ويصفهم في بعض النصوص فيقول :

« نزلت علينا لفحة من غضب الله ٠ فقد تجرأ شعب وضيع الاصل من الشرق لم يتنبأ أحد بإقدامه على غزو بلادنا فسيطروا عليها بالقوة ، ودون صعوبة حتى ولا معركة ، وبعد أن تغلبوا على حكامنا فانهم أحرقوا المدن

بوحشية ، وخربوا هياكل الآلهة وعاملوا السكان كلهم بمنتهى القسوة » • (٥) •

وأصل كلمة هكسوس التي استخدمها المؤرخ مانيثيو مصرية ، وهي كلمة ذات مقطعين الاول « حقاو » ويعني حكام ، والمقطع الثاني « خاسوت » ويعني البلاد الأجنبية أو الملوك الرعاة • وكان لقب(حقاو خاسوت) يطلق على ملوك الهكسوس كما كان يطلق قديما على الكنعانيين الذين كانوا يذهبون الى مصر قبل سيطرة الهكسوس على مصر • ونستطيع أن تتبين ذلك من الرسومات والكتابات الجدارية التي سجلها قدماء المصريين على مقابرهم عند زيارة أي شعب لهم •

والجماعة الكنعانية من الجماعات التي قدمت من جنوب بلاد كنعان « فلسطين » الى مصر ، وذلك بحسب جميع كتب الباحثين • ونحن نعرف أيضا أن زعيم هذه الجماعة كان من الكنعانيين كما تشير الى ذلك جميع كتب الباحثين ، وأن جماعته وكان عددهم ٣٧ شخصا من رجال واطفال ونساء ، وكان اسمه أبشاي ويلقب « حقاوخاسوت » أي حاكم البلاد الاجنبية • وهذا اللقب هو الذي أصبح بعد تحريفه اسماً يدل على الهكسوس •

٢ ــ ان اسم « حقاوخاسوت » الهكسوس اطلق فقط على الناس الذين يلبسون ملابس مطرزة • وهذا ما تثبته رسومات المصريين القدماء حيث رسموا الكنعانيين والعموريين وأطلقوا على رئيسهم « حقاوخاسوت » ، وهو يلبس ملابس مطرزة • والمعروف أن الكنعانيين خاصة كانوا يلبسون ملابس مطرزة ، النساء منهم والرجال والاطفال والشيوخ ، وهي مميزة للعرب الكنعانيين ، وهذا يعني أن الهكسوس عرب كنعانيون من سكان سوريا ولبنان وفلسطين والاردن •

٣ ــ قد ورد على لسان مؤرخ العلم « جورج سارتون » مأخوذا عن المؤرخ ، المصري مانيثيو ومجملاً رأيه ما يفيد بأن الفينيقيين أنفسهم من الهكسوس ، حيث يقول « تكلم أولئك الفينيقيون لغة أقرب الى اللغة العبرية (٦) منها الى أي لغة أخرى من مجموعة اللغات السامية • ويجوز أن يكون الهكسوس ، مع ما في أمرهم من غموض ، وهم الذين غزوا مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، هم الفينيقيين أنفسهم من غيرلبس حين قام أحمس الاول فرعون مصر (وهو أول ملوك الاسرة الثامنة عشرة ١٥٨٠ ــ ١٥٥٧) ، بغزو بلادهم • ومن ذلك الحين صار الفينيقيون خاضعين للحكم المصري، لكن ذلك لم يدم طويلا • وكثيرا ما يرد ذكرهم في النقوش المكتوبة بالخط المسماري في تل العمارنة ، وحاول بعضهم أن يطرح نير الحكم المصري ، وتآمروا مع الحثيين الذين شجعت قوتهم المتزايدة ، وصداقتهم الظاهرة آمال الهكسوس في تحرير أنفسهم » (٧) • ويقصد جورج سارتون بالهكسوس سكان مدن لبنان وسوريا وفلسطين والاردن •

٤ ــ يشير الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور : الى أن الهكسوس استقروا في مصر السفلى وخاصة في الدلتا ، إذ جعلوا عاصمتهم



أفاريس بالقرب من موطنهم الاصلي ، حيث يقول « تدل ظواهر الاحوال على أن منطقة الشرق الادنى القديم تعرضت لأحداث كثيرة متتالية في الوقت الذي أشرفت فيه الدولة الوسطى على النهاية ، فقد قضت بابل على الممالك المجاورة لها ، بينما أخذ « الحوريون » أو « الميتانيون » يستولون على بعض البلاد السورية — ولاشك في أن هذه التحركات كانت ذات أثر في هجرة وتسلل الكثير من العناصر الآسيوية الى شرق الدلتا على الأرجح — ولم يمض على استقرارهم وقت طويل حتى اصبحوا قوة يخشاها المصريون، واستفحل خطرهم وزاد الى أن تمكنوا من فرض سلطانهم على مصر وجعلوا عاصمتهم أواريس » (٨) •

٥ — نحن نعرف أن أي فاتح عظيم عندما يفتح بلادا جديدة غير بلاده ، ويستقر فيها محتلا فترة من الزمن قد تقصر أو تطول ، فان أهل البلاد يظلون على كراهيته ، الى أن تؤاتيهم فرصة طرده فانهم يطردونه الى البلاد التي منها وفد ، بل وتدفعهم الحمية الى ملاحقته حتى عقر داره واحتلاله كما احتلهم ، والتاريخ القديم والحديث حافلان بالامثلة العديدة على ذلك • فالهكسوس عندما استقروا في الدلتا ومصر الوسطى ، وجعلوا عاصمتهم أفاريس أو أواريس نجد أن المصريين لم يقبلوا هذا الوجود ،فبدأت مقاومتهم أولا على يد والد أحموس الاول ، ثم على يد أخيه ، ويدعى « كاموذا » ثم على يد أحموس الاول الذي تمكن من احراز النصر لمصر ، وطردهم خارج البلاد ، الى أول حصونهم العتيدة القوية بفلسطين وهو حصن «شاروهين» أي تل الفرعة في الطرف الجنوبي لفلسطين بالقرب من بئر سبع • وقد حاصرهم فيها ثلاث سنوات الى أن سقطت على يده ، وهناك رأي بأن حصار شاروهين دام ست سنوات ويلاحظ بعد سقوط شاروهين انه لم يتركها أهلها • كذلك حصونهم في « مجدو » تل المتسلم حاليا ، والتي حاصرها تحتمس الثالث بعد ذلك لفترة من الزمن ، لم يتركها أهلها ، وكذلك الحال في أريحا وهازور وتل العجول وشكيم وحتى حصونهم في الشمال في سهل البقاع بسوريا ، بعد ان هزمها جيش مصر ، لم يتركها أهلها • بل بقوا في فلسطين وسوريا ولبنان والاردن ، وكل ما حصل لهم انهم فقدوا قوتهم العسكرية ونفوذهم السياسي ، وكل النصوص المصرية وخصوصا المتعلقة بفتوحات « تحتمس الثالث » توضح انهم لم يتركوا سوريا ولبنان وفلسطين والاردن • بل تشير الى الغنائم والنصر فقط وهذا يفيد بأنهم عموريون وكنعانيون من سكان « فلسطين وسوريا ولبنان والاردن » •

٦ — يشير الباحث الكبير الدكتور أنور الرفاعي الى أصل الهكسوس العربي ، حيث يقول « ان أصل هذه الأقوام التي حكمت مصر مدة طويلة من الزمن والتي أسست الاسرتين الحاكمتين ١٥ ، ١٦ هي من القبائل — العربية القادمة عبر سيناء • حين أخرج امراء طيبة الهكسوس من مصر ، أخرجوهم الى البلاد التي قدموا منها وهي سيناء ، ثم لاحقوهم حتى فلسطين ••• وكان ذلك قد شجع ملوك مصر

على احتلال الشام ومحاولة ضمها الى الامبراطورية المصرية • وذكرت النقوش المصرية وخاصة الباقية الى اليوم ، على جدران الكرنك ومعابد الاقصر الكثير من أخبار حملات مصر ضد قبائل البدو المقيمة فيفلسطين وسورية»[٩] •

٧ ــ عندما حكم الهكسوس في مصر جعلوا بعلا معادلا للاله المصري « ست » كما جعلوا « البعلة » معادلة للالهة المصرية « ايزيس » وأدخلوا بين سائر الالهة في مصر أخت بعل ورفيقته « عناة »، كذلك حكمت من الهكسوس سلسلة من الملوك السوريين هناك قبل السلالة الخامسة عشرة ، وكانت أسماؤهم كنعانية أو أمورية واضحة ، منها « هنات هار » وكذلك أسماء قوادهم وامرائهم التي أبقوها لنا محفورة على التعاويذ والتمائم المصرية وهي بشكل الخنافس وكانت ترمز للخلود عند المصريين القدماء ، كانت أسماء كنعانية أو أمورية[١٠] •

٨ ــ قد ورد في المجلد الثامن ــ لمجلة المعرفة ما يفيد ، بأن العرب البائدة « اصطلح على تسميتهم بالعمالقة • وقسموهم الى قسمين كبيرين هما :

أولا ــ عمالقة العراق ــ وهم دولة حمورابي في بابل والأدلة على أن دولة حمورابي عربية كثيرة ومتعددة منها أسماء ملوكهم ولغتهم •

ثانيا ــ عمالقة مصر ــ وهم الذين يسميهم المؤرخون (الهكسوس) وهناك بقايا العمالقة ومنها عاد وثمود ، وكان مقامهم بمدائن صالح ، وطسم ، وجديس وغيرهم ، هذا بالاضافة الى دولة الانباط في بطرا ، ودولة التدمريين في تدمر

وخلاصة ما يستنبط من النقاط السابقة الذكر :

أن الهكسوس هم كنعانيون وعموريون من سكان سوريا ولبنان وفلسطين والاردن ، وقد وصلوا الى مصر على فترات متقطعة ، وكان بينهم عددمن الحثيين والحوريين وهؤلاء استخدمهم الهكسوس في سياسة الخيول وخدمتها • وقد وصل الهكسوس الى مصر على فترات متقطعة ولكنهم حكموا مصر نحو قرن ونصف قرن من الزمن (١٧٣٠ ــ ١٥٨٠ ق•م) •

والواقع أن الفترة التي يطلق عليها الباحثون فترة الهكسوس هذه الفترة التي يغفلها الباحثون هي في الحقيقة كسب حققته القبائل العمورية والكنعانية من سكان سورية ولبنان وفلسطين والاردن ، هذا الكسب تمثل في وحدتهم أول مرة ، فكونوا قوة ضاربة عسكرية ظهرت لفترة قرن ونصف قرن من الزمن ، وقد أثرت هذه الفترة على جميع أوجه الحياة في فلسطين فعم البلاد رخاء اقتصادي وتجاري • وهكذا يتضح لنا من العرض السابق أن فلسطين عربية كنعانية ، وأن الهكسوس هم سكان فلسطين وسوريا ولبنان والاردن وهم عرب كنعانيون « وفي هذا رد علمي على دعاوى الصهاينة ، ومناحم بيغن بأن العبرانيين من الهكسوس » •

ففلسطين عربية كنعانية والهكسوس عرب كنعانيون انحدرنا منهم وحملنا صفاتهم وعبادتهم

وأزياءهم وتقاليدهم حتى الان في سورية ولبنان والأردن .

اهم المراجع :

١ ـ د: وليم ف اولبرت ـ مترجم ـ ص ٨٥ ـ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

٢ ـ د: جواد بولس ـ لبنان والبلدان المجاورة ـ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ـ مؤسسة بدران وشركاه للطباعة والنشر ـ بيروت .

٣ ـ د: رشيد الفاخوري ـ جنوب غربي آسيا الشمالية وشمال افريقيا ـ الكتاب الاول ـ ص ٣٣١ .

٤ ـ د: فيليب حتي تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ مترجم ص ١٥٧ ، ١٥٩ .
د: محمد أبو المحاسن عصفور ـ معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ـ ص ١٣٨ ، ١٤٧ .

٥ ـ د جوادبولس ـ لبنان والبلدان المجاورة ـ ص ٧١ .

٦ ـ د: العبرية : هي لسان كنعان كما ورد في أسفار اليهود ، أي انها ليست لغتهم ولكنهم تعلموها من الكنعانيين ، وبهذا فالعبرية هي لغتنا وقد اخذها اليهود عن أجدادنا الكنعانيون .

٧ ـ د : جورج سارتون ـ تاريخ العلم ـ الكتاب الاول ـ مترجم ـ دار المعارف بمصر ص ٢٣٩ .

٨ ـ د: محمد أبو المحاسن عصفور ـ معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ـ ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

٩ ـ د: أنور الرفاعي ـ قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير ـ ص ٦١ .

١٠ ـ د: فيليب حتي ـ تاريخ لبنان ـ مترجم ص ٩١ ، ٩٢ .

١١ ـ المجلد الثامن ـ مجلة المعرفة ـ ص ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ـ الناشر شركة ترادكسيم ـ شركة مساهمة « سويسرية » ١٩٧١ م .

« الباب السادس »

فلسطين خلال عصر البرونز المتوسط :

عم فلسطين خلال عصر البرونز رخاء اقتصادي تتيجة لعدة عوامل هامة وهي الزراعة والصناعة والتجارة .

فالزراعة اهتموا بها الى حد كبير ، وقد تفننوا في استصلاح الاراضي الجبلية اذ حولوها الى مسطحات على شكل مدرجات ، ويفصل بين كل سطح وآخر جدار من الاحجار الصخرية الموجودة في البيئة . وهذا النظام الذي بدأه أجدادنا العرب الكنعانيون ما زال متبعا حتى الآن في قرى المنطقة الجبلية من فلسطين ، وعلى جانبي نهر الاردن ، وسوريا ولبنان .

وقد أدى استغلال الأرض والاهتمام بالزراعة الى وجود طبقة من الملاك عرفوا باسم الأشراف والملوك وكذلك طبقة من عبيد المزارعين . وقد أفضى هذا الى بناء مساكن تحميهم وتليق بمكانتهم الاجتماعية وبهذا ظهر نظام خاص بالاشراف وحصون الملوك . كما ظهرت العمارة التحصينية بشكل واضح وملموس وتتكون من الاسوار والمنحدرات والأبراج . فالأسوار كانت نوعين :

الاول ـ الاسوار الراسية :

ظهرت في حفائر مدينة تل بيت مرسيم وتعود الى القرن التاسع عشر ق.م حيث بلغ سمك الجدران نحو أربعة أمتار ، وقد بني على السور حصن على شكل أبراج طولها عشرة أمتار وعرضها ستة أمتار تقريبا . كما ظهر نظام هذه

الأسوار في مدينة بيت زور حيث بلغ سمك جدران الاسوار مترين ونصفاً • وقد بني على السور برج ارتفاعه عشرة أمتار عرضه نحو خمسة أمتار[1] ، وتاريخ الحصن يعود الى القرن السابع عشر ق•م •

وعثر في مدينة اليبوسيين أورشليم على سور ضخم عرضه تسعة أقدام ويمتد في أحد جوانب المدينة لمسافة ٤٩ مترا ، وأمامه خندق عرضه أحد عشر مترا ويعود الى القرن التاسع عشر ق•م •

ثانيا ـ الاسوار المنحدرة :

وظهرت في أريحا وشكيم وتل الجزر وتل بيت مرسيم ، فقد بلغ ارتفاع أسوار أريحا عن الاساس نحو ستة أمتار ونصف تقريبا ، وأسوار مدينة تل الجزر بلغ سمكها خمسة أمتار ويلحق بها أبراج دائرية ، أما أسوار مدينةشكيم فقد بلغ ارتفاعها عشرة أمتار •

وقد تفننوا ببناء الاستحكامات وخاصة منذ القرن الثامن عشر ق•م ، وهي تتألف من مبان ضخمة مستطيلة الشكل ، بنيت من اللبن وعثر عليها في « لايش » و « حاصور » بالقرب من بحيرة طبريا ، وهناك استحكامات ترابية عثر عليها في تل قيسان وشكيم ولاخيش وتل بيت مرسيم وتل العجول وفي مناطق اخرى لصد الهجمات وتعويق العجلات الحربية وكان لكل حصن بوابة ولها ممر او ممران أو ثلاثة وعلى جانبي كل ممر زوج من الأعمدة الضخمة •

وكانت المنازل نوعين ، الاول بيوت العامة من أفراد الشعب ، وكان لها نظام مجار أو صرف حيث عثر أسفل الدرجات على مصرف مبني جيدا ، وهذا يدل على تقدم في فن البناء[2] • والنوع الثاني وهو منازل أو قصور الاشراف ويتألف من طابقين ، يقيم اصحاب المنزل في الطابق العلوي ، أما الطابق السفلي فقد استخدم للخدم ومخازن للغلال • وقد عثر على نماذج منها عدة مواقع منها تل بيت مرسيم وتاريخه يعود الى ١٦٠٠ ق•م ، وفي مجدو وبيت ايل ، وشكيم واريحا وتل العجول[2] •

والعمارة الجنائزية كانت نوعين ، الاول المقابر الجماعية وهي محفورة في الصخر • ويتكون القبر من سلسلة من المقابر وهي عبارة عن سراديب عائلية لكافة أفراد الشعب وقد وضعوا الى جوار الافراد الاثاث الجنائزي ، ويتكون من الطعام والاثاث وأدوات الزينة الشخصية • وعثر على عدد من هذه المقابر في أريحا وتل بيت مرسيم وتل الفارعة • والنوع الثاني من المقابر ، هي المقابر الفردية وهي عبارة عن بئر رأسية تؤدي الى غرف تحت سطح الارض وتتصل بالبئر عن طريق جانبي ، وقد ترك في هذه القبور أسلحة وحلي ثمينة وهي للاغنياء في الغالب والمحاربين ، وقد عثر على عدد منها في أريحا •

وأما العمارة الدينية ، فتتكون من المعابد وهي عديدة ، منها في أريحا وتل بيت مرسيم وتل الفارعة وبيت شان ومجدو وشكيم • وهي في تكوينها ومحتوياتها الداخلية عربية كنعانية •

كما اهتموا بالصناعة الى حد كبير ويذكر

المؤرخون أن أصحاب الحرف كانوا منتظمين ولهم نقابات مهنية ، وكانت كل جماعة حرفية ترتبط أفرادها بروابط القرابة ، حيث كان الابناء يرثون مهنة آبائهم وكان لهم حي خاص بهم .

وقد وجدت مثل هذه المنظمات في فلسطين قديما منذ القرن الثامن عشر ق.م [٣] . وأدى الاهتمام بالانتاج الصناعي التجاري الى ظهور أنواع من الصناعات التطبيقية الكنعانية العربية ومن أقدمها صناعة الخزف ، وقد بلغ هذا الفن مستوى رفيعا خصوصا خلال عصر البرونز المتوسط ، وذلك عندما استخدم فنانو فلسطين دولاب الخزف فيتشكيل أعمالهمالخزفية في نحو عام ٢٠٠٠ ق.م ، فامتازت الأشكال بالرشاقة وبنقاوة طينتها .

وكان أهم ما يميزها أيضا الاستمرار في صنع أوان فخارية قديمة وهي الابريق والزبدية والزير واللقان والبوشة والبقلوشة . والتي ما زالت تصنع حتى الآن في خان يونس وغزة ونابلس والخليل .

كما اكتشفوا الزجاج في مدينة عكو وهي عكا حاليا . واشتهروا بالأقمشة ذات الصبغة الأرجوانية ، وقد ادى الاهتمام بالاقمشة ذات الصبغة الأرجوانية والمطرزة الى أن أصبحت أكثر السلع التي تباع في الأسواق حيث بيعت بكثرة الى سكان جزر بحر ايجه . وهذا هو السبب في انتشار الازياء الفلسطينية في اليونان وكريت وقبرص ومالطة .

وقد دفع الاهتمام بالاقمشة المطرزة الى الاهتمام بالأدوات لانتاج هذا الفن الجميل وهذه الادوات ، هي الابر والدبابيس والازرار ، وقد صنعوها من خامات مختلفة هي البرونز والعظم والعاج ، كما تفننوا المنقوشة من أجل التجارة .

وقد ساعد على انعاش التجارة طرق المواصلات ، ومعظم الطرق البرية القديمة ، التي تصل العالم القديم بعضه ببعض ، وقد كان لابد أن تمر عبر فلسطين ، فالطريق من شمال افريقية ومصر لابد أن تمر بفلسطين لتصل الى باقي أجزاء الشام والاناضول أو الى بابل أو أرض الجزيرة العربية . وكان أهم هذه الطرق ، الطريق من مصر الى الشام ، وهو الذي يمر من سيناء ثم يتحول شمالا مارا بمعظم ساحل فلسطين حتى الكرمل ، ثم يتفرع من الكرمل الى طريقين أحدهما ساحلي يمر ببقية مدن الشام الساحلية ، ويوصل الى الاناضول . واما الاخر فهو يسير داخل فلسطين فيمر بسهل مجدو ثم يعبر فلسطين من الشمال قاطعا نهر الاردن ثم يتجه الى مدن ساحل الشام ومنها الىالاناضول.

وهناك طريق آخر يسير من مصر عبر سيناء الى غزة ومنها يسير الى أريحا ويعبر نهر الاردن ثم يتجه جنوبا الى أرض الجزيرة العربية . وقد ساعدت هذه الشبكة من المواصلات الهامة بفلسطين الى انتعاش الفنون التطبيقية وخاصة التطريز والنقش على المعادن والعاج والاخشاب والزجاج والفخار ، وقد اشتهرت هذه بانها صناعات عربية كنعانية . الا أن أهمها كان فن التطريز وعاجيات مجدو .

وهكذا يتضح لنا عروبة فلسطين خلال عصر البرونز المتوسط •

اهم المراجع :

١ – د: وليم ف. اولبريت – آثار فلسطين – مترجم – ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ •
٢ – عبد الرحمن المزين – رسالة الماجستير – الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ – ص ١٥١ ، ١٥٢ •
٣ – د. فيليب حتي – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين – الجزء الاول – ترجم – ص ٨٢ ، ٩٥ •

« الباب السابع »

فلسطين
خلال عصر البرونز المتاخر
١٦٠٠ – ١٢٠٠ ق•م

يعتبر هذا العصر امتدادا لعصر البرونز المبكر والمتوسط ، اذ حافظ المجتمع بفلسطين على نظام المدن المستقلة وبناء القلاع والحصون ومنازل الاشراف ، ولم تتغير العبادة فأدى هذا الى عدم التغيير في نظام عمارة المعبد، ولم تختلف نظرتهم الى الموت والحياة عما كانت عليه في العصور السابقة ولذلك بقي فن عمارة المقابر كما هو ، مع تغييرات بسيطة في عادات الدفن، نتيجة لتأثره بالفن المصري الجنائزي •

اهتم أهل فلسطين بالزراعة ، وبقي تقديسهم لها خلال عصر البرونز المتأخر كما اتسعت تجارتهم مع جزر ايجه ، واستمروا في انتاجهم للاعمال الفنية التطبيقية ، وهي الاقمشة المطرزة والاسلحة البرونزية وقد تفوقوا بالنقش على سطح العاج •

والناظر لسوريا ولبنان وفلسطين والاردن ابتداء من الالف الثالث قبل الميلاد يشاهد انها تكونت في وحدة سياسية واحدة وشعب عربي واحد ، خصوصا في عصر البرونز المتوسط والمتأخر • كما كانت تنتظم في دول قائمة في حصون وقلاع عرفت باسم المالك ، وقد اهتم كل حاكم بتحصين مدينته لحماية حكمه •

وفي هذه الفترة كانت هناك صلات كبيرة بين فلسطين ومصر ، يؤكدها ما عثر عليه من الفخار المصري في خربة كراك وهو اناء أبيدوس ، ومن فخار فلسطين وهو فخار بيت شان المعروف ذي الأيدي المموجة في مصر السفلى ، وفخار فلسطين الرمادي المصقول الذي عثر عليه في جرزة وفي مقبرة المعادي • ووجود هذا الفخار يرجع الى فترة قديمة الى عصر ما قبل الاسرات المصرية • ولم تنقطع العلاقة بين مصر وفلسطين خلال الالف الثانية قبل الميلاد ، يدلنا على ذلك (نصوص اللعنات المصرية) اذ ورد بها أسماء دول وحكام ودلت الاسماء على أنها كنعانية • وكان نفوذ مصر قد امتد منذ بداية الالف الثانية قبل الميلاد حتى بلغ سوريا والساحل اللبناني باستثناء شمال سوريا ، اذ كانت داخلة تحت نفوذ أرض الرافدين مثل حلب وقرقميش ثم تحت نفوذ الحوريين •

وانقطع نفوذهم خلال فترة (الحقاوخاسوت) وهم الذين عرفوا في التاريخ باسم الهكسوس، اذ توحدت ممالك سوريا ولبنان وفلسطين والاردن وحكموا مصر قرابة مائة وخمسين سنة • ثم عاد نفوذ مصر في عصر البرونز المتأخر

على بعض أجزاء من مدن الساحل الكنعاني العربي .

وكان ينافس مصر في هذه الفترة الحثيون وهم الذين أتوا من بلاد الاناضول واحتلوا شمال سوريا ، وفي هذه الفترة كانت سوريا عامة في مستوى حضاري لايقل عن مستوى الحضارة المصرية وخاصة حضارة مجدو بفلسطين[1] . وخلال عصر البرونز المتأخر حدث اتصال بجزر بحر ايجه . حيث وفد الكثير من التجار لأخذ منتجات أهل فلسطين وخاصة الأقمشة الأرجوانية والمطرزة والصناعات المعدنية والعاجية ، كما جاء هؤلاء التجار بمنتجات بلادهم وأشهرها الفخار القبرسي .

وخلال عصر البرونز المتأخر ، أحيطت المدن بوسائل دفاعية وهي الأسوار العالية والعريضة والمدعمة بالابراج العالية ، الحربية ، وكذلك الحال بالنسبة لمنازل الاشراف فانها لم تتغير في تخطيطها المعماري ، اذ بقيت تتألف من حجرات في صف واحد أو تلتف حول باحة تتوسطها وهي مؤلفة من طابقين . وقد عثر على أمثلة من منازل الأشراف تعود الى عصر البرونز المتأخر في مجدو وبيت ايل وتعنك وأريحا ، ومدن أخرى من فلسطين .

استمر نظام الصرف الذي ظهر في أريحا خلال عصر المتوسط ، فقد عثر في أحد منازل الاشراف في بيت ايل على أنابيب مبطنة بالحجر وهي تسير تحت أرضيات المنازل الجصية لتصريف مياه الامطار ومياه المجاري خارج أسوار المدينة . أما بالنسبة للعمارة الدينية فقد بقيت المعابد مثل معابد عصر البرونز المتوسط ، اذ ان العبادة الكنعانية لم تتغير ولكنهم ادخلوا عليها، تعديلات . وقد عثر المنقبون في لخيش على هيكل معبد ، كما عثر في مجدو على معبد . وهكذا عثر في بيت شان على أربعة معابد كنعانية وأقدمها قد خصص بـ (ميكال ملك بيت شان) ويعود ذلك الى نهاية القرن السادس عشر وأوائل القرن الخامس عشر ق.م ، كما عثر على مبنى كنعاني ضخم يبلغ طوله ٢٥ مترا وعرضه ٢١ مترا ، كان قائما على جدران خارجية سمكها خمسة أمتار . وللمبنى مدخل على جانبه برجان ، وفي داخله صفان من الاعمدة يتألف كل منهما من ثلاثة أعمدة . ويعتقد الباحثون بانه معبد كنعاني ولكنني اعتقد بأنه قصر وليس بمعبد لان هذا النظام المعماري هو نظام قصور الاشراف وقد ظهر بفلسطين ابتداء من عصر البرونز المتوسط[2] .

وقد مهروا بصناعة الفخار وهو نوعان ، فخار محلي وتاريخه يعود الى (١٥٥٠ — ١٤٥٠ ق.م) عثر منه على كميات كبيرة وتميز بوجود اشكال هندسية تتألف من مثلثات ورسومات لطيور وأسماك . والجدير بالذكر أن الابريق الفخاري قد استمروا بصناعته خلال عصر البرونز المتأخر . كما ظهر الفخار القبرسي ، وذلك لان العلاقات التجارية بين المدن الكنعانية وبين جزر ايجه خلال عصر البرونز المتأخر قد ازدادت ، كما ظهرت جاليات كنعانية داخل جزر البحر في كريت وقبرس ومالطة ، حتى ان اسماءها كنعانية الأصل (كريت — مالطة) .

واهتموا بفن النقش والنحت ، فظهرت أعمال ذات طابع محلي ، وبعضها متأثر بالاسلوب المصري والبابلي • وهذه الأعمال صنعوها للتجارة ، لانها كانت مطلوبة في الاسواق • واما الاعمال ذات الطابع المحلي في النقوش والنحت فكانت تصنع ليضعوها في منازلهم ومعابدهم • ومنها الملاعق العاجية من مجدو ، والعربة التي تجرها أربعة جياد ويقودها محارب ، كما نحتوا ادوات تطبيقية منها الأمشاط العاجية والابر والدبابيس والأزرار العاجية • واهتموا بالصناعات المنزلية كأدوات المطبخ وهي منحوتة من الخشب ، وقد عثر على نماذج منها في أريحا وكذلك في داخل المقابر بأريحا وهي مصنوعة من الفخار •

والتحف المعدنية مهروا بها الى حد كبير ، اذ عثر على السكاكين ورؤوس الحراب والفؤوس الحربية والمخارز والملاقط في أريحا • كما وجد في مناطق متعددة من فلسطين أساور وخلاخل ومشابك للصدر وأقراط وخواتم من البرونز والذهب والفضة ، وتاريخها يعود الى ١٥٠٠ ق•م ، كما عثروا أيضا على صنوج في تل أبو هوام بالقرب من حيفا وتاريخها يعود الى القرن الرابع عشر ق•م • ومهروا في صنع الاسلحة الحربية من عربات ودروع وأسلحة أخرى ، كما مهروا بصناعة الكؤوس والأباريق من الذهب والفضة ، ويؤيد الرأي السابق قول الدكتور نجيب ميخائيل ابراهيم (كانت الحضارة السورية في مستوى الحضارة المصرية ان لم تكن تفوقها في بعض النواحي ــ والدليل على ذلك أنه لم يظهر من قبل زي عسكري في مصر ، ولكننا نشهد في « مجدو » دروعا تمثل صورها على جدران المقابر ، ولم تكن هناك عجلات مذهبة في مصر اذ انها ظهرت متأخرة ، وقد كان ذلك مع الملوك فقط ، كذلك الكؤوس والأواني ، ويدل هذا على أن الحضارة السورية كانت تفوق المصرية أو تماثلها على الاقل)[3] •

واهتموا بالصناعات الزجاجية وبالاقمشة الارجوانية والمطرزة ، وكانت هذه أكثر صادراتهم الى جزر بحر ايجه منذ ١٥٠٠ ق•م وهكذا يتضح لنا مما تقدم عروبة فلسطين خلال عصر البرونز المتأخر •

اهم المراجع :

١ ــ عبد الرحمن المزين ــ رسالة الماجستير ــ الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ ــ ص ١٨١ ، ١٨٢ •

٢ ــ نفس المرجع السابق ص ١٨٦ •

٣ ــ د : نجيب ميخائيل ابراهيم ــ مصر والشرق الادنى القديم رقم (٣) ص ١٠٤ ــ ١٠٥ ، راجع ــ د: فيليب حتي ــ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ــ مترجم • ص ١٤٠ •

فلسطين عبر التاريخ



عبد الرحمن المزين

كثيرا ما يتردد على الالسنة أن أصل أهل فلسطين من جزيزة كريت وقبرص أو بحر ايجة ٠ ولذلك أردت قبل الحديث عن فلسطين خلال عصر الحديد ٠ أن أبين هوية قبيلة البولستا التي أتت من كريت وهي قبيلة كنعانية الاصل عاشت في الاغتراب فترة من الزمن وعادت مع مطلع عصر الحديد ، الى أهلها ونستطيع أن نتبين ذلك من خلال العرض التاريخي التالي :

مع نهاية عصر البرونز وبداية العصر الحديدي بفلسطين ٠٠ تحركت شعوب هند وأوربية متجهة الى آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ودلتا مصر ويشير بعض المؤرخين الى عدم معرفتهم لسبب هذا التحرك البشري ، ولكن بعضهم يفيدنا بأن ميسينا الاغريقية ، وهي عاصمة الآخيين التي ازدهرت حضارتها خلال قرنين من الزمان (١٤٠٠ ـ ١٢٠٠ ق٠م) كان لها أسطول ، وكانت بحق « سيدة البحر » ولكنها أهملت قوتها البرية ، وقد حدث أن ميسينا لم تصمد في وجه القبائل البربرية وهي المعروفة باسم الدوريين ، يمثلون الاغريقية الثانية الآتية من الشمال ، وقد استطاعوا احتلال العاصمة ميسينا عن طريق البر ، وبالتالي لم يستطع أسطول ميسينا الصمود أو ، الدفاع عن ميسينا ، وبذلك انتهت سيطرة الاغريق الاولين المعروفين باسم الأخيون ٠

وتبعا لذلك أصبح الاسطول الآخي القومي في عرض البحر بلا وطن ، وكان هذا الاسطول يضم بجانب الآخيين الذين يشكلون الاغلبية عناصر أخرى من آسيا

ومنهم ما عرف بـ «الآريين» وكذلك عناصر من جزيرة كريت ومن جزر بحر ايجة ٠ فاتجهوا الى المملكة الحيثية في آسيا الصغرى ، وسقطت تحت ضرباتهم مدن عدة ، ثم ساروا عبر سوريا براً وبحراً ، ويبدو أن سيرهم كان بمحاذاة المدن الساحلية ، حيث خربوا أوجاريت ودمروها ٠

ومنذ ذلك الحين لم تقم لها قائمة كما دمروا مدناً كنعانية أخرى ومنها صور ثم ساروا عبر فلسطين الى دلتا النيل عن طريق البر والبحر ، وفي هذه الفترة كانت الامبراطورية المصرية في حالة لا تحسد عليها ، حيث كانت تعاني من حركة قومية عنيفة ذات طابع ديني ٠

وقد علم ملك مصر بهجوم قبائل البحر ، فخرج لملاقاتهم رعمسيس الثالث عام (١١٩١ ق٠م) وقد شتت قوتهم البحرية والبرية ، وبعد هزيمتهم اتجهت « عناصر منهم الى شواطىء سوريا الشمالية وآسيا الصغرى وجزر البحر الإيجي وسردينيا وايطاليا »(١) ٠

أي ان كل جماعة اتجهت الى موطنها الاصلي ٠ أما قبيلة البولاستي فقد اتجهت الى جزء من ساحل الكنعانيين بفلسطين وهو موطنها الاصلي ٠

ويذكر بعض المؤرخين ان المدن التي **انضموا الى أهلها الكنعانيين هي غزة –** عسقلان – اشدود – عقرون – جت ٠ وبعضهم يشير الى انهم أتوا بنسائهم معهم ٠

وقد تبنوا عبادات الكنعانيين المواطنين ولغتهم (٢) ٠ وهؤلاء ذابوا في الكنعانيين أبناء جنسهم ٠ والدليل على أن جماعة البولستا كنعانية ، هو ما أوردته في رسالة الماجستير (الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ) وهو ما يلي :

١ – في المرحلة التي استقر خلالها الفينيقيون في فينيقيا (٣) ٠ خرجت منهم شعبة على الارجح لتستقر في قبرص التي لا تبعد عن الساحل الفينيقي بأكثر من رحلة لا تعدو سفرة يوم واحد ، وإنا لنعجز في كثير من المواقع عن أن نفرق بين أهل قبرص وسلالة المهاجرين الجدد من الفينيقيين وإنا لنلاحظ كذلك ان الظروف السياسية في جزيرة قبرص اتخذت نفس الصورة التي كانت لفينيقيا وفلسطين الكنعانية حتى لنرى قيام دويلات صغيرة المساحة بقدر عدد المدن القائمة ٠٠ ويشير في موضع آخر الى أن الفينيقيين استقروا في قبرص عام ١٥٠٠ ق٠م وقد بقي الفينيقيون في قبرص حتى أخرجهم منها الدوريون (وهذا نفس التاريخ الذي حدثت فيه هجرة قبائل البحر)، كما يشير أيضا الى أن هناك شعبة سامية كبيرة جاءت الى مصر ، من عصر الحضارة الاولى ، وقد جاء أصحابها من جزر البحر أو الشواطىء الشمالية الشرقية وهي الشواطىء السورية ومن ورائها ، وقد كانوا من التجار وأصحاب الحرف (٤) ٠

وهكذا نرى أن الهجرات العربية الكنعانية أو الفينيقية وصلت الى جزر البحر ، قبرص ، كريت منذ عصر الحضارة الاولى ، أي قبل مجيء جماعة البولستا الى فلسطين بحوالي ١٨٠٠ عام ٠ أي أن العرب الكنعانيون استقروا في جزر البحر وقبرص وكريت منذ ٣٠٠٠ سنة ق٠م ٠

٢ ـ عندما تعرضت سوريا وفلسطين لهجمات الحيثيين والكاشيين والحوريين ، والميتانيين ، التي تدفقت الى العراق وسوريا الشمالية ، فقد دفعت بالسكان العرب الى هجرات متتالية نحو مصر ولكن ملوك الدولة الوسطى منعوها ، فاتجه معظمها الى جزر البحر ومنها جزيرة كريت (٥) ٠ وهذا يفيد أن هناك قبائل عربية كنعانية هاجرت الى جزر البحر وهي كريت وقبرص وغيرها خلال فترة عصر البرونز المتوسط ، أي قبل مجيء جماعة البولستا الى فلسطين وهذه القبائل حافظت على عاداتها وتقاليدها الكنعانية ، كما كانت في فلسطين وسوريا ولبنان والاردن قبل هجرتها الى جزر البحر ٠

٣ ـ ان قبائل البحر عندما أتت الى سوريا وفلسطين خلال نهاية عصر البرونز المتأخر عادت جميعها بما كسبت من غنائم ، وبقي منها في فلسطين قبيلة البولاستي ، ويبدو أن بقاءها وعدم مهاجمة سكان فلسطين من الكنعانيين لها ، راجع الى أن هذه القبيلة من أصل عربي كنعاني، ولنبذها داخل جزر البحر فقد فضلت البقاء بين سكان فلسطين الكنعانيين القريبين منها في العبادات والتقاليد والاصل ٠

ويؤكد ذلك أن جماعة البولستا أو قبيلة البولستا قد مارس أهلها عبادة الآلهة الكنعانية « داجون ـ حورون ـ عنات ـ عشتر » دون أي ضغط يمارس عليها من سكان فلسطين الذين يشكلون الاغلبية ٠ وقد كانوا يعبدون الآلهة الكنعانية داخل جزر البحر كما سبق القول منذ فترة زمنية قديمة ولذلك لم يكن العرب الكنعانيون من سكان فلسطين بالنسبة لهذه القبيلة الكنعانية غرباء ولذلك نلاحظ عدم قيام حروب بينهما (٦) ٠

٤ ـ نلاحظ أن أسماء المدن الكنعانية التي توزعت عليها قبيلة البولستا لم تتغير أسماؤها الكنعانية بل بقيت كما هي٠ كذلك لم تتغير الديانة واللغة والعادات والتقاليد الكنعانية ٠ **وهذا دليل على هوية قبيلة البولستا الكنعانية وان كان الامر غير ذلك وكانت البولاستي من سكان جزر البحر ٠٠٠ فان هذا الامر لا يغير شعب فلسطين ، فالاقلية تذوب في الاكثرية ٠** ولكن الحقيقة واضحة وقد أوضحت ذلك أن هذه القبيلة من الكنعانيين الذين **هاجروا الى جزر البحر على فترات متقطعة خلال عصر البرونز المبكر والمتوسط والمتأخر وقد عادوا من الغربة الى وطنهم الاصلي فلسطين ، وانضموا لاهلهم الكنعانيين ٠**

أهم المراجع :

١ ــ جواد بولس ــ لبنان والبلدان المجاورة ــ ص ١٠٨ ــ ٠

٢ ــ المصدر السابق

٣ ــ فينيقيا اسم مرادف لكنعان ، وهو آخر اسم اطلق على الساحل السوري ، وهو اتى من اللفظة اليونانية فينوكس وتعني تاجر أو صاحب الصبغة الحمراء ٠

٤ ــ : : نجيب ميخائيل ابراهيم ــ مصر والشرق الادنى القديم رقم (٣) ــ ص ٩٣ ، ــ ٩٤ ٠

٥ ــ نفس المرجع السابق ــ ص ١٠١ ٠

٦ ــ عبدالرحمن المزين ــ رسالة الماجستير ــ الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ ــ ص ١٦٣ ، ١٦٤ ٠

« الباب التاسع »

فلســــــطين

خلال عصر الحديد الاول

يمتد هذا العصر من أوائل القرن الثاني عشر الى آخر القرن العاشر ، قبل الميلاد ٠

ومع بداية هذا العصر شهدت الارض الفلسطينية تسلل جماعة من اليهود بغرض الاحتلال والاستيطان ٠

وقد دامت رحلة هذه الجماعة من مصر وتتكون هذه الجماعة من قوم موسى ، ومن المصريين الذين آمنوا بديانة التوحيد ، ثم جاء سيدنا موسى الى سيناء حيث المدينيين الكنعانيين ، فتزوج ابنة شيخ كبير فيهم ، وهو ما يطلق عليه اسم « شعيب » وقد آمن بديانته جزء كبير من المدينيين ، وسار هذا الخليط الذي يجمعه ديانة واحدة الى فلسطين ، وكان سكانها من العرب الكنعانيين يعيشون داخل مدن محصنة ذات أسوار عالية منيعة ، وخنادق وأبراج دفاعية ، ولذلك لم يستطيعوا دخولها ، وقد مات سيدنا موسى على جبل نبو (شيحان) غربي مادبا ، وقد تولى قيادة هذا الخليط شخص متعطش للدماء ، واغتصاب أملاك الغير وهو يوشع بن نون ، فعبر نهر الاردن وحاصر مدينة أريحا ، وقد صادف قيام زلزال فهاجم المدينة وأهلها تحت الانقاض ، فذبح كل من فيها من الانسان والحيوان ، وهدم وأحرق أقدم مدينة في التاريخ القديم ، وبعد ذلك تسلل اليهود الى المدن الجبلية الفلسطينية ، وكانوا يقيمون وسط الحقول ، ويتحاشون الاشتباك بالحصون ثم ما لبثوا أن استولوا على لخيش (تل الدوير) وعاى ، ومما ساعدهم على ذلك هو نظام المدن الفلسطينية ، حيث كانت كل مدينة عبارة عن مملكة مستقلة بذاتها وتدافع عن نفسها فقط ، مما ساعد على سقوط بعض مدنها الجبلية ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يهاجموا المدن المحصنة ذات الاسوار العالية والاقلاع المنيعة مثل ــ بيت شان ــ مجدود ــ بيت زور ــ عكو ــ يافي ــ أشدود ــ عسقلان ــ غزة ــ بئر السبع ــ تل جاز ــ سدوم ٠ وكل مسرح الحوادث بين أهل فلسطين والغزاة اليهود ، كان في المنطقة الجبلية ، وخلال هذا الصراع ، طلب اليهود من أحد أنبيائهم ،

وهو صموئيل أن يجعل لهم ملكا عليهم مثل ملوك مدن فلسطين فاختار لهم أقوى وأطول رجل فيهم ، وهو شاؤل ومسحه بالزيت وذلك عام ١٠٢٠ ق٠م من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب(١) ٠ واتخذ مكانه في جعبة « تل الفول » على بعد أربعة أميال شمالي أورشالم ، وكانت مملكة صغيرة وخاضعة للكنعانيين سكان فلسطين ٠ وقد قتله أهل فلسطين في معركة « جلبوع » بالقرب من بيت شان هو وأولاده الثلاثة ، وقد قطعوا رأسه وسمر جسده وأولاده الثلاثة على سور المدينة في بيت شان ، وأما سلاحه فقد أرسل كغنيمة الى معبد عشتاروت(٢) ٠

وبموت شاؤل تولى الحكم بعده داوود زوج ابنته وذلك حوالي عام ١٠٠٠ ق٠م «وقد بدأ حكمه تحت سيادة الفلسطينيين»٠ وقد أراد أن يوسع حدود مملكته ، فاختار حصن أورشليم اليبوسي ، ومن ثم انتزعه منهم ، وبعد داوود تولى ابنه سليمان وذلك حوالي عام - ٩٦٣ - ٩٢٣ ق٠م وقد بنى قصرا له بواسطة « معماريون فينيقيون كنعانيون » ٠ كما بنى هيكلا ، وقد أصبح معبدا لليهود بعد ذلك ٠ ويجب أن يعرف بأن البنائين والمعماريين والنجارين هم - كنعانيون عرب،وان زخارف الهيكل وعبيده وطقوسه الخاصة والذبائح أخذت من الكنعانيين ، حتى كلمة هيكل ٠ وماتسمى باللغة العبريةهيلهجةكنعانية ،استعاروها لتدوين كتابهم الديني بأول فصلين منسفر الملوك ، حتى ان موسيقى الهيكل وأدواته الموسيقية والعازفين كانوا كنعانيين ٠

في تلك الفترة كان الكنعانيون ، يقيمون في ممالكهم المحصنة في (عكو - يافي - أشدود - عسقلان - غزة - بئر السبع - عقرون - تل بيت مرسيم - عقرون - جت - مجدو - بيت شان - تل جازر - سدوم) والاماكن التي احتلها اليهود وأطلقوا عليها مملكة داوود وسليمان في أورشليم ، كان أهلها الكنعانيون العرب يشاركونهم في الارض وخاصة اليبوسيين « وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم ، فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم حتى هذا اليوم »(٣)٠ وهناك في الداخل حصون الكنعانيين التي لم تطأها أقدام اليهود مثل حصن « جزر الكنعاني » والذي قاوم أهله بعناد احتلال اليهود لاراضيهم ٠ وبموت سليمانانقسموا الى قسمين قسم في أورشليم واسم مملكته يهوذا ، وقسم في شكيم أو السامرة واسم مملكته اسرائيل ٠ أي ان احتلالهم ونفوذهم كما تشير كتبهم لم يتعد ، مدينة نابلس والقدس وانأهلها،الكنعانيون كانوايعيشون معهم تحت الاحتلال ٠

ويجب أن يفهمان وجود اليهودبفلسطين خلال عصر الحديد الاول لم يكن له أي أثر قومي على سكان فلسطين من العرب الكنعانيين ، سوى احتلال بعض المدن

المدن الجبلية ، كما ان حكم داوود وسليمان الذي يرد في كتب التاريخ وكانه حكم امبراطورية واسعة الارجاء هذا الحكم القصير الاحتلالي ، لايتجاوز عمر الرجل ، وكان محصورا في منطقة صغيرة من فلسطين. وقد ترك الكنعانيون العرب أعمالا تدل على استمرارية وجودهم ومنها الفخار وأهمه التوابيت الفخارية والتي عثر على عدد منها في مقابر تل الفرعة في النقب ، ومقابر بيت شان وتعود الى القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد(٤) . والتوابيت الفخارية قديمة حيث ظهرت بفلسطين منذ ٤٥٠٠ق٠م في الغسولية والخضيرة وبيسان .

كذلك ظهر فخار برتقالي مصغر عثر عليه في مناطق متعددة من فلسطين منها بيت زور وتل النصبة ـ بيت ايل ومجدو وتل الفارعة ، وتتميزهذه الاواني بانها لاتختلف عن أشكال ، الاواني التي ظهرت بفلسطين خلال فترات عصر البرونز المبكر وعصر البرونز المتوسط والمتأخر ، وهي الاباريق ، ولاتختلف عن أشكال الاباريق الفخارية المعاصرة التي يصنعها أهلنا في خانيونس وغزة والخليل ونابلس، ويشتريها الصهاينة منهم ويرسلوها الى أوروبا مدعين ، انها فن صهيوني .

كما ظهر فخار مجدو الملون وهو لايختلف عن الاواني التي ظهرت في عصور سابقة بفلسطين وعن الاواني المعاصرة التي يشكلها أهلنا في أرضنا المحتلة .

وقد مارسوا فن النقش والتطعيم على العاج وتركوا أعمالا عديدة عثر على معظمها في مجدو . كما أنهم نقشوا على سطح الطين حيث تركوا لوحات طينية عثر عليها في تل بيت مرسيم وقد نقش الفنان عليها صورا تمثل الالهة عناة وعشيرة مما يدل على استمرار العبادة الكنعانية . واستمرت الطرز المعمارية الكنعانية في العمارة الدنيوية والتحصينية والدينية والجنائزية ، وعثر على آثار متعددة منها في مجدو ، في الطبقات ٧ ، ٦ ، ٥ ، وفي بيت شان في الطبقات ٦ ، ٥، ومدينة جبلية أخرى .

ولم تنقب الهيئات الاثرية في مدن الساحل وذلك لوجود الهوية الكنعانية .

ففي بيت دجن ، معبد الاله الكنعاني داجون . وقد كان موجودا ضمن أراضي مختار بيت دجن وهو من عائلة « حبش » . وقد بقي المعبد حتى احتلال فلسطين عام ١٩٤٨.

هذا وقد اهتم أهل فلسطين خلال عصر الحديد الاول بتشكيل الدروع والعربات الحربية والحراب والاسرة الجميلة والكراسي المزدانة بالملائكة ، كذلك الاقمشة المطرزة.

وقد مهروا الى حد كبير بتشكيل الحديد خلال عصر الحديد الاول ، وهذا هو الذي ساعدهم على السيطرة على الغزاة اليهود. وهكذا يتضح لنا من العرض السابق عروبة فلسطين خلال عصر الحديد الاول ، والاحتلال اليهودي الذي استمر ٦٩ عاما لبعض مدننا وهي أورشالم ، شكيم ، أريحو مع وجود أهلنا فيها .

أهم المراجع :

١ ـ صموئيل الاول ٩ : ٢

٢ ـ صموئيل الاول ٣١ : ١ ـ ١٠

٣ ـ يوشع اصحاح ١٥ آية ٦٣ ٠

٤ ـ د : وليم ف .. أولبرايت ـ آثار فلسطين ـ مترجم ـ ص ١١٨ ٠

الباب العاشر

فلســـــطين

خلال عصر الحديد الثاني والثالث

سكن فلسطين أهلها العرب الكنعانيون وتوزعوا في عدة مدن سميت بالممالك ، وكانت مدنهم محصنة ذات أسوار عالية وأبراج مراقبة ، وبوابات بعدة ممرات قائمة على أعمدة حجرية لدخول العربات الحربية٠

وأشهر الممالك (عكو ـ يافي ـ أشدود ـ عسقلان ـ غزة ـ بئر سبع ـ أدوم ـ عقرون ـ تل الدوير ـ بيت شان ـ مجدو) وكل سكانها عرب كنعانيون ٠ أما اليهود الذين دخلوا الى فلسطين خلال عصر الحديد الاول فقد انقسموا بعد موت سليمان في مدينتين٠ الاولى شكيم وسموها مملكة اسرائيل والثانية أورشليم وسموها مملكة يهوذا ٠ وكان يعيش بينهم العرب الكنعانيون الذين احتلت مدينتهم ٠

وتشير نصوص رأس شمرا أو أجاريت الى وجود العرب الكنعانيين في القرن السابع قبل الميلاد في مدنهم وخاصة النقب والساحل كذلك في كتبهم المقدسة ورد على لسان النبي اليهودي صفينا في الاصحاح الثاني من سفرة الايات (٢ ـ ١) ٠

ويشير الى أن غزة وممالك ساحلية كان يسكنها أهلها من الفلسطينيين أو العرب الكنعانيين(١)٠ واذا ما تتبعنا الحالة السياسية لممالك فلسطين ، فاننا نجد أنها كانت في منطقة وقعت بين امبراطوريتين كبيرتين الامبراطورية الاشورية والامبراطورية المصرية وكانوا يتنافسون في فرض السيادة على هذه الممالك الصغيرة ، وفرض الاتاوة عليها ، ولذلك نجد سرجون وخلفه سنحاريب يقومون بعدة حملات لتأديب كل مملكة أو مدينة كنعانية لم تدفع الجزية وتدخل تحت سيطرة أشور٠

وقد حدث في عهد سرجون أن تمردت بعض الممالك بفلسطين ، ولم تدفع الجزية، وحابت مصر فقام شلمناصر الخامس وحاصر السامرة ثلاث سنوات ومن ثم سقطت في عام ٧٢٢ ق٠م في يد خلفه سرجون الثاني « الذي سبى أحسن رجال اسرائيل وعددهم (٢٧٢٨٠) شخصا الى ميديا » (٢) ومن ثم تلاشت مملكتهم من الوجود الى الابد ٠

ويعتقد بأن الاشوريين « قد أتو بقبائل من بلاد بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب عامة لتحل محل اليهود المسبيين من مدينة السامرة وأسكنوها السامرة ومنطقتها ٠وقد امتزج المستوطنون الجدد بمن تبقى من اليهود في المدينة ليشكلوا السامريين ، واتحدت معتقداتهم الدينية أيضا مع عبادة

يهوه(٢) وقد استولى سرجون على صيدا وعكو ، فقام ملوك عمون ومؤاب وأدوم وأشدود بارسال وفود للتفاوض ودخلوا في النهاية تحت سيطرة آشور • ولكن ملوك يافا وغزة وبئر سبع ولاخيش وعسقلان وعقرون وأورشالم رفضوا الرضوخ ، فاستولى جيش آشور على مملكة يافا ، عسقلان ، غزة ، بئر سبع ، لاخيش ، ولكن عقرون قاومت وتم الاستيلاء عليها •

وأثناء سيطرة جيش آشور على ممالك أهل فلسطين من العرب الكنعانيين ، تحرك الجيشان المصري والحبشي ضد جيش آشور فرأى ملك اشور عدم ترك أحد الحصون أو الممالك وراءه دون فتحها وهي « ارشالم » أو حصن يهوذا • فأرسل فرقة اشورية لتأديب الحصن أما باقي الجيش فقد تقدم والتقى مع الجيشان المصري والحبشي عند خربة المقنع « التقية » • وقد حال دون تقدمهما ، ولكن ملك آشور أمر جيشه بالتراجع لان مرض الطاعون قد فتك بأعداد كبيرة من جنوده •

بعد سقوط نينوى في يد الامبراطورية الجديدة البابلية « الكلدانية » وذلك حوالي عام ٦١٢ ق٠م٠ تجد مصر ترجع لتوسيع حدودها الامبراطورية وبسط سيطرتها مرة ثانية على الساحل الكنعاني (السوري - اللبناني - الفلسطيني) • فزحف ملك مصر المعروف في ذلك الوقت باسم « نيخو » وتحالف معه ملك يهوذا وهو يهوياقيم ولكن والده قاتلهم ، وقد اتبع ملك اورشالم سياسة مصر وخالف سياسة بابل وبذلك تحدى نبوخذ نصر - قائد جيش بابل وهزم جيش مصر في قرقميش عام ٦٠٥ ق٠م ، واستولى على « جميع الممالك الخاصة لمصر في ذلك الوقت » ومنها ممالك فلسطين الا أن مملكة ارشالم أو يهوذا خالف ملكها سياسة بابل عام ٥٩٧ ق٠م٠ فقام جيشها بتأديبه حيث كبل ملكها بالسلاسل(٣) ولكنه مات فألقوا بجثته خارج أسوار أورشالم أو أورشليم ، ومن ثم تولى ابنه يهوياقيم ملك المدينة لمدة قصيرة وسبى الملك مع نسائه ، وأمه وموظفيه وسبعة الاف من جنوده ، وأخذ ألفا من الصناع المهرة الى بابل حيث نصب عم الملك المسبي ملكا على يهوذا واسمه صدقيا (٥٩٧ - ٥٨٦ ق٠م) فأطاع وأظهر الولاء لنبوخذ نصر لعدة سنين كبقية ممالك فلسطين ، ولكنه عاد وتمرد معتمدا على مساندة مصر له ، فقام نبوخذ نصر بارسال جيش بابلي وأرسلت مصر جيشها بقيادة « هفرغ » فرجع الجيش البابلي الا ان البابليين عادوا مرة ثانية عام ٥٨٦ ق٠م وحاصروا أورشليم ، فهرب ملكها تحت جنح الظلام ، ولكن جند بابل أمسكوا به في سهل اريحا وأحضروه الى معسكر نبوخذ نصر في « ربله » حيث قتل أولاده أمامه ومن ثم سملت عيناه وقيد بالسلاسل وحمل الى بابل وقام البابليون بهدم اورشليم والهيكل وسبوا معهم خمسون ألفا ، ولم يبق الا جماعة من البائسين •

أما باقي ممالك كنعان بفلسطين فقد خضعت لحكم بابل ودفعوا الجزية ، ومن هذه الممالك « عكو - مجدو - يافي - أشدود بيت شان - غزة - بئر السبع - عقرون - عسقلان - باستثناء صور التي قاومت حتى عام ٧٥٢ ق٠م ٠

وبانتهاء اورشليم عام ٥٨٦ انتهى نفوذهم السياسي في هذه المدينة الكنعانية وبقي فيها أهلها الكنعانيون ٠

بقيت الممالك الكنعانية بفلسطين خاضعة لبابل منذ (٦٠٥ - ٥٢٥ ق٠م) ٠ وبعد ان تحطمت الامبراطورية البابلية على أيدي الامبراطورية الفارسية دخلت فلسطين تحت حكم الامبراطورية الجديدة منذ (٥٢٥ ق٠م- ٣٣١ ق٠م) ٠ فقام الفرس باعادة بعض اليهود من بابل الى القدس «أورشليم » بحجة بناء الهيكل ، وذلك مقابل مساعدة اليهود لكورش في انتصاره على بابل حيث كانوا جواسيسه على الامبراطورية البابلية، ولكي يكونوا أيضا جواسيس لقورش على أهل فلسطين تمنعهم من الاتصال بمصر(٢)٠

خلال عصر الحديد الثاني والثالث بقي نظام العمارة التحصينية والمعابد والمباني الدنيوية والجنائزية كما هو ، واهتموا بالصناعات التطبيقية وخاصة الصناعات المعدنية والفخار الذي صدروه الى جزر ايجة والمنسوجات الارجوانية والاقمشة المطرزة التي اشتهروا فيها منذ القدم وبرعوا بزخرفتها الى حد كبير ، كذلك صدروا الزجاج ، وظهرت عملة « اتيكا » اليونانية وأصبحت العملة الرسمية بين التجار ،كذلك ظهرت عملة بفلسطين نقش أهلها أحد آلهتهم الكنعانية عليها وهو الالهة داجون وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد ٠

وهكذا يتضح لنا من عرضنا السابق لفلسطين خلال عصر الحديد الاول والثاني ان وجود اليهود في فلسطين قد انحصر في مدينتين شكيم - وفي « أورشليم » القدس وقد كان الكنعانيون العرب يسكنون معهم تحت الاحتلال اليهودي ٠ وأما باقي مدن فلسطين فلم تطأها أقدام اليهود ٠

أهم المراجع :

١ - د : حسن ظاظا - الساميون ولغاتهم ص ٥٧ ، ٥٨ ٠

٢ - سفر الملوك الثاني ١٧ : ١٦

٣ - سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٥ - ٣٣
د. فيليب حتي - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الجزء الاول - مترجم - ص ٢١٤ ٠

٤ - عبد الرحمن المزين - رسالة الماجستير - الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ - ص ٢٣٧ ٠

الباب الحادي عشر
فلسطين خلال العصر
اليوناني - الروماني

في عام ٣٣٢ ق٠م حاصر الاسكندر مدينة غزة مدة شهرين ، وقد دافع عنها أهلها ببسالة الى جانب حامية الفرس ، حيث أصيب الاسكندر بجراح ومن ثم سقطت

المدينة بيد الاسكندر ودخلت فلسطين تحت حكم الامبراطورية اليونانية ٠

وبعد وفاة الاسكندر في حزيران من عام ٣٢٣ ق٠م ببابل على اثر اصابته بالحمى تقاسم الامبراطورية قادته الاربعة فيما بينهم ٠

ففي مصر بطليموس ، وسوريا وأرض الرافدين سلوقس ، وآسيا الصغرى انتيفوس ، واليونان « مقدونيا » انيتباتر ، وكانت فلسطين من نصيب أسرة لاغوس المعروفين في التاريخ بالبطالة ، وذلك منذ عام ٣٢٣ ق٠م وحتى عام ١٩٨ ق٠م ٠

ولكن انطيوخس حاول في عام ٢١٧ ق٠م ضم فلسطين ، ولكنه فشل حيث هزم بالقرب من رفح « رافيا القديمة » ٠ الا انه عاد واستطاع ضمها الى سوريا عام ١٩٨ ق٠م ٠ وقد اعتبر انطيوخس نفسه الها ، أو الاله الظاهر (تيوس ابيفانس) وقرن نفسه بزفس أوليمبيوس ، وأعطى أهل سوريا أنفسهم امتياز عبادة الملك ، واستولى على كنوز معابد الكنعانيين بفلسطين ٠

واعتبر الاله زفس معادلا للاله بعل ولم يعترض سكان فلسطين ٠ ولكن اليهود الذين أعادهم الفرس لبناء المعبد اليهودي تمردوا ، عندما وضع ايطوخس في معبدهم مذبحا للاله اليوناني وكان الاله زفس يعبد بصفات كنعانية ويمثل بلبلس نصف كنعاني ٠

الا أن اليهود الموجودين في القدس لم يقبلوا بذلك فقاموا بمعارضة الاعتداء على الهيكل عام ١٦٨ ق٠م ، وتزعم المعارضين ابن كاهن يهودي اسمه يهوذا ، واتخذ اسمه « المكابي » وتعني المطرقة ، ولكن السلوقي ديمتريوس الثاني نيكابور قام باعطائهم الحرية الدينية وعين منهم كاهنا اسمه سمعان ، ومن ثم عينه حاكما على فلسطين عام ١٤١ ق٠م وهذه سنة المستعمرين حيث يعطى الحكم والنفوذ للاقليات ليكونوا جواسيس للسلطة على أهل البلاد ٠

وهكذا كان دور اليهود بفلسطين خلال فترة الاغريق ، ولكن نزعتهم الدينية تحولت الى نزعة قومية فقاموا بالضغط والاجبار على الكنعانيين العرب كي يدينوا باليهودية وكذلك الختان ٠ ومن القبائل التي مورس الضغط عليها الادوميين عام ٢٦ ق٠م[١] ٠ كما تطاولوا في عهد خلف سمعان ، ارسطو بولس (١٠٥ - ١٠٣م) حيث ضغطوا على الاريتوريين العرب ، سكان الجليل وهم كنعانيون ، وخيروهم أيضا بالختان والدخول في اليهودية ٠ وقد دخل كثير منهم في الديانة اليهودية ولذا نجد أن كثيرا ممن عمل السيد المسيح (عليه السلام) بينهم واتخذ منهم أكثر تلاميذه هم من أصل عربي ٠ وكان اليهود ينظرون اليهم وكأنهم أدنى من اليهود وغير أهل لظهور نبي فيهم[٢] ٠

سقطت فلسطين في يد روما عام ٦٣ق٠م وأصبحت تحكم من قبل نائب قنصل

روماني • ومن ثم أعطت روما خلال القرن الاول قبل الميلاد هيرودس حكم أجزاء من فلسطين (٣٧ ـ ٤ ق•م) وهو أدوميكنعاني عربي • ولكن اليهود الموجودين في القدس عادوا وتمردوا ضد بيت المقدس ٧٠ م بأمر من تيتوس الروماني وانهى وجودهم ولم يبق الا النذر البسيط ، عاشوا في فلسطين بالقدس بين أهلها الكنعانيين الذين كانوا يرزحون تحت نيرالاحتلال الروماني •واستمر الاحتلال حتى عام ٣٢٣م • حيث انتصرت المسيحية في أوائل القرن الرابع الميلادي على يد قسطنطين •

وخلال الفترة من عام ٣٣٢ ق•م الى عام ٣٢٣م خضعت فلسطين الى حكم الامبراطوريتين اليونانية والرومانيةوتركت الهيلينية(٣) بصماتها واضحة على مظاهر الحياة أيام اليونانيين وذلك نتيجة لان الاسكندر قام بانشاء (٧٠) مدينة ضخمة على الطراز الاغريقي ، استخدمها كمراكز ثقافية لنشر الحضارة الهيلينية في البلاد الشرقية وكذلك لتأمين طرق المواصلات • سكنها المسرحون من الجيش ، وقدجمعت المدن الكثير من العسكريين والتجار والعلماء والفنانين والعبيد ومن المدن الثقافية التي أنشئت في العهد اليوناني ، بيلاوديون « تل الاشعري » ، وهيبوس «قلعة الحصن» ويقعان شرقي طبريا « فيلوتير » في الطرف الجنوبي من بحيرة طبريا ، وسميت بهذا الاسم نسبة الى فيلوتير شقيقة بطليموس الثاني فيلادلفوس ، مدينة جيرازا • وقد حول الاغريقالكثير من أسماء المدن العربية، فأعطوها أسماء اغريقية ورومانية ، منها عكا ، حيث سميت بتولما في عهد بطليموس الثاني وبيسان سميت سكيثوبوليس ، وبيت جبرين أطلق عليها اليوثيروبولس •

بعد العصر الاغريقي الروماني أعاد العرب الى مدنهم أسماءها الكنعانية العربية القديمةباستثناءنابلس التي كانت تسمى شكيم وسماها الاغريق نابوليس حرفت وأصبحت حاليا نابلس • وهذه المدن أو المراكز الثقافية اتبع في تخطيطها النظام المعماري اليوناني ، وأصبحت معظم المدن وخاصة يافا وعسقلان وغزة ورافا ذات صبغة هيلنستية خلال الحكم اليوناني الروماني ، وخلال فترة الرومان أقيم اتحاد مدن عرف باسم اتحاد الديكابوليس(٤) •

ومن المد نالتي اشتهرت في هذه الفترة مدينة الانباط البتراء عاصمة مملكتهم وسكانها من القبائل العربية • وهم الذين يعرفون اليوم باسم الحويطات ويعيش جزء منهم في الاردن ، حول البتراء ، وجزء آخر في النقب وسيناء وجزء في السعودية ثم تغير اسمهم عبر التاريخ فيوما كان اسمهم المدينيين ثم الانباط ثم الحويطات الا أنهم في الاصل عرب كنعانيون •

وخلال العصر اليوناني بفلسطين تغير نظام الحياة ، حيث خضعت المدن الى حكم

الامبراطور مباشرة ، وأصبحت المدن تشتمل على رقعة واسعة من الاراضي تحيط بها الاسوار ولها بوابات ضخمة ورهيبة وذات جلال ، وبداخل الاسوار يقع القصر الملكي أو قصر الحاكم ، وكذلك الساحة العامة والمدرج الضخم والمسرح وبرك السباحة ، والمعابد الضخمة المتعددة بينما خلت الحياة في الريف الفلسطيني من الصبغة اليونانية الرومانية ، ولم تختلف الحياة عن صورة الاجداد الكنعانيين ، حيث لم يتدخل الرومان واليونان في حياة الفلاحين ، ولذلك بقي الفلاحون يعيشون حياتهم العادية ٠ فتأثرهم بالحضارة الاغريقية والرومانية غير واضح ، ولذلك استمروا يمارسون حياتهم وفق عاداتهم وتقاليدهم القديمة ، فخلت فنونهم من التأثير : العمارة الدنيوية والدينية والجنائزية ، فن التطريز ، الخزف ، الزجاج والمنحوتات الخشبية(٥) ٠

أهم المراجع :

١ ــ سفر المكابيين الاول ٤ : ٢٩

٢ ــ انجيل مرقس ١٤ : ٧٠ ، أعمال الرسل ٢ : ٧ ، لوقا ٢٢ : ٥٩ ، يوحنا ١ : ٤٦ ٠

٣ ــ الهيلينية : هي الحضارة اليونانية في بلاد اليونان وتسمى داخل اليونان باسم الهيلينية أما حضارة اليونان التي ظهرت خارج اليونان ، وهي مزيج من اليونانية والشرقية وتسمى الهيلنستية .

٤ ــ هو اتحاد يضم عشرة مدن اغريقية كان منها بيسان ، جدارا ، جراسا فيلادلفيا دمشق .

٥ ــ عبد الرحمن المزين ــ الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ ص ٢٥٣ الى ٢٥٦ .

الباب الثاني عشر

فلسطين

خلال العصر المسيحي

يمكن القول ان العصر المسيحي بفلسطين يمتد منذ ميلاد السيد المسيح حتى ظهور الاسلام ٠ وقد لاقت المسيحية بفلسطين صعوبات كبيرة من الامبراطور والديانات الوثنية الكنعانية والديانة اليهودية ثم زالت هذه الصعوبات بعد أن اعترف قسطنطين بالمسيحية عام ٣١٢ ودخلت فلسطين تحت الحكم البيزنطي ، ومن ثم أصبحت فلسطين كلها مسيحية ٠

ونستطيع أن نقسم الفترة منذ ميلاد السيد المسيح حتى الفتح الاسلامي الى قسمين :

١ ـ فترة الحكم الروماني ـ اضطهاد المسيحية ٠

٢ ـ فترة الحكم البيزنطي ـ فترة الاعتراف بالمسيحية ٠

أولا ـ فترة اضطهاد المسيحية :

ولد النبي عيسى بن مريم (عليه السلام) حوالي عام ٦ ق٠م وفي ذلك الوقت كانت فلسطين جزءا من سوريا وتخضع للامبراطورية الرومانية ولم تمت دعوته حيث قام أتباعه بتسجيل تعاليمه وأعماله

في كتب تعرف اليوم باسم الاناجيل ، وهي التي تبين لنا حياة سيدنا عيسى ٠ وقد اعتنق الديانة المسيحية الكثير من الفلسطينيين وكذلك بعض اليهود ، الذين كانوا يقيمون بين أهل فلسطين في القدس كأية جالية أجنبية ٠

واستطاع الاباء المسيحيون ، الاوائل وخاصة « بولس » أن يوصلوا هذه الديانة الى سكان الامبراطورية الرومانية ٠ وذلك بأن أعطوها الصبغة الهيلينية ، والذي ساعدهم على ذلك هو معرفتهم باللغة اللاتينية ، فأهل فلسطين كانوا يعرفون الارامية واليونانية خلال العصر المسيحي وخاصة أيام الرومان ٠ وهذا أدى الى سرعة انتشار الديانة المسيحية خاصة في اليونان وروما ٠ وتبعا لذلك ظهرت جماعات مسيحية في اليونان وروما لم تؤد واجباتها للالهة الوثنية ، فبدأ ما يعرف في التاريخ «الاضطهاد المسيحي »(١) ٠

والمعروف ان اليونان والرومان كانوا يؤمنون بالهة متعددة ، وكانوا متسامحين مع أصحاب الديانات الاخرى الوثنية ، لانهم كانوا يحترمون آلهتهم ، ولكن أصحاب الديانة المسيحية لم يشاركوا في الاعياد الدينية الوثنية ، وأعياد الامبراطورية فبدأ الاضطهاد ٠

وكان أول اضطهاد هو محاولة قتل المسيح عليه السلام على يد اليهود عام ٢٧ ـ ٢٩م ، ثم ابادة المسيحيين بعد حريق روما الشهير في عهد نيرون عام ٦٤ م ، ثم بعد ذلك حكم على بولس بالموت صلبا في روما عام ٦٧ م في عهد نيرون أيضا ، ثم أصبح المسيحيون في جميع أرجاء الامبراطورية يقتلون ويضطهدون ، وخاصة عندما تحل كارثة أو وباء أو مجاعة أو قحط في أي بلد من أنحاء الامبراطورية الرومانية ، حيث كانوا يعزون ذلك الى المسيحيين ٠

واستمر الاضطهاد ، ففي عام ٣٠٣ م أصدر ديوكليتان أمرا بازالة الكنائس المسيحية وحرق جميع كتبها الدينية ٠ وطرد كل مسيحي من وظيفته وحرمانه من العمل في أي وظيفة ، وأصبحوا يعاملون كخونة ، اذا لم يقدموا مراسم الاحترام للآلهة ٠ وقد تفننوا في قتل المسيحيين ، من أجل ذلك فان كثيرا من المسيحيين تعرضوا للهلاك والتعذيب وخاصة عرب فلسطين ولهذا فان كثيرا منهم اضطروا لترك الديانة المسيحية والعودة لديانة الاجداد الكنعانية ، ومن بقي منهم مسيحيا فقد كتم أمره عن أقرب الناس اليه ، ولذلك كانوا يجتمعون في أماكن بعيدة عن الرؤيا مثل الكهوف والمغارات ، وأي منزل عادي بعيد عن أنظار الناس ٠

من هنا لم تقم لهم أماكن عبادة علنية خاصة بالدين المسيحي الامر الذي جعل فنونهم لاتختلف عن فنون الاجداد الكنعانيين ، فالكنيسة في فترة الاضطهاد كانت عبارة عن منزل أو معبد كنعاني ، ولهذا فان طراز الكنيسة الاول بفلسطين هو طراز المعابد

الكنعانية والتي يعود تاريخ ظهورها الى ٦٨٠٠ ق٠م ٠

وكان أقدم بيت بفلسطين حول الى كنيسة عام ٢٠٠م وعثر عليه في مدينة دورا على الشاطىء الشمالي الفلسطيني ، وعثر في نفس المدينة على كنيسة تعود الى منتصف القرن الثالث وبه باب خاص بالنساء ، وكذلك مقاعد خاصة بهن ، وعثر أيضا على بقايا كنيسة في دورا يعود الى ٢٣٢م ، وهي أقدم كنيسة عرفت بفلسطين، بل وتعتبر « أقدم كنيسة مسيحية عثر عليها »(٣) ٠

ثانيا : فترة الاعتراف بالمسيحية :

عندما انقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين ، قسم يحكم في روما ويعرف بالامبراطورية الرومانية الغربية ، وقسم يحكم في القسطنطينية، ويعرف بالامبراطورية الشرقية البيزنطية ، ويذكر المؤرخ فيليب حتي : ان سوريا الجنوبية « فلسطين قد أصبحت تابعة للامبراطورية البيزنطية ، وقد قسمت الى ثلاثة أجزاء : فلسطين الاولى وكانت قيصرية مدينتها الرئيسية ،ضمت أورشالم ، نيابوليس ـ جوبا « يافا » عسقلان ـ غزة ، وغيرها من المدن ٠وفلسطين الثانية ومركزها سكيثو بوليس « بيسان » ومدنها الرئيسية جدرة ـ طبرية ٠ ثم فلسطين الثالثة وكانت البتراء مدينتها الرئيسية وتضم جنوب فلسطين وشمال الجزيرة العربية والبتراء وماحولها » ويذكر أيضا ان البلاد أصبحت كلها مسيحية ، وسيطر على العصر بوجه عام الروح الدينية ، وأصبحت الكنيسة مكان المعابد القديمة الكنعانية ، وأصبح للقديسين شأن كبير واحتلوا مكان كهنة المعابد ٠ وقد نالوا احترام الناس واهتموا ببناء مراكز ثقافية تنشر تعاليم المسيح ، ففي مدينة غزة في الجنوب برز منها المؤرخ الكنسي اليوناني « سوزمين ، سوزمينوس » في القرن الخامس الميلادي ٠ وفي شمال فلسطين قيصرية التي ينتسب اليها يوسيبيوس وهو أول مؤرخ كنسي عظيم ،كذلك المؤرخ بروكوبيوس والكثير من القديسين ومنهم (جيروم)وهو من قرية بالقرب من غزة(٤) ٠

بعد الاعتراف أصبحت فلسطين تابعة للامبراطورية البيزنطية ، وبنيت كنائس كبيرة على طراز الباسيليكا ، وهي عبارة عن مبنى ضخم مستطيل كان يستخدم زمن الرومان كمحاكم قضائية أو مكان للاعمال التجارية ، وكان يوجد به ثلاث قبلات ولاتقل في الغالب عن قبلة واحدة كبيرة وعظيمة والقبلة فسحة دائرية(٥) ٠ والواقع ان نظام القبلات الثلاث ، قد ظهر بفلسطين في معبد أريحا منذ ٦٨٠٠ ق٠م ٠ اذن فالرومان قد نقلوه عنا وأسقف الكنائس كانت عبارة عن جمالونات خشبية تغطي بالقرميد ، وأسلوب الجمالون قديم كنعاني ظهر بفلسطين في بيسان مجدو منذ ٤٥٠٠ ق٠م ٠

وهناك كنائس كثيرة منتشرة في ربوع

فلسطين والاردن وسوريا وخاصة في طبريا وبيت لحم والقدس والناصرة ، وهي تزخر بمختلف أنواع الفنون .

وقد أدى انتشار المسيحية الى زيادة الطلب على الاقمشة الارجوانية والمطرزة ، حيث أصبح رجال الكهنوت يرتدونها ، ومن هنا زاد الطلب على هذه الاقمشة المطرزة ، كما جاء الحجاج المسيحيون الى فلسطين وأخذوا معهم ملابس ارجوانية وملابس مطرزة تبركا بها وهدايا . ولهذا انتشرت الازياء الفلسطينية في ربوع العالم المسيحي، حتى الموسيقى وأزياء الرهبان الخاصة بالكنائس هي من تراث أجدادنا الكنعانيين

وما ان حل ظهور الاسلام ودخلت جيوش المسلمين فلسطين رغم تغيير أسماء المدن الرئيسية بأسماء يونانية ورومانية وبيزنطية ابتداء من (٣٣١ ق.م وحتى ٦٣١م) ، فقد حفظ الاقدمون الاسماء العربية وأورثوها لاجيالهم قرابة ألف عام وعندما ظهر الاسلام وذهب الاحتلال ، أعادوا الى مدنهم أسماءها الكنعانية العربية ومنها : ـ أسدود ـ يافا ـ غزة ـ عسقلان ـ بيت جبرين ـ عقرون وغيرها الكثير وهكذا يتضح لنا عروبة فلسطين عبر التاريخ .

أهم المراجع :

١ ــ عبد الرحمن المزين ــ الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ ــ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

٢ ــ نفس المرجع السابق ــ ص ٢٦٣ .

٣ ــ د : فيليب حتي ــ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ــ الجزء الاول ــ مترجم ــ ص ٣٨٦ الى ٣٩٨ ،

٤ ــ نفس المرجع السابق ــ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

٥ ــ محمد خليل نايل ومحمد أمين عبدالقادر ــ تاريخ العمارة ــ الجزء الاول ص ٥٤٤ ، ٢٤٥ .

البـــاب الثالث عشر
فلســـــطين
خـــلال العصـــر الاســـلامي

عادت فلسطين الى عروبتها بعد أن طرد منها المحتلون البيزنطيون اثر ثلاثة احداث هامة وهي :

أولا ـ أجنادين :

وهي معركة قامت بين العرب المسلمين والروم والبيزنطيين بالقرب من الرملة ، سنة ١٣ هجرية ـ ٦٣٤ ميلادية ، بقيادة عمرو بن العاص ، وتم النصر فيها للعرب المسلمين .

ثانيا ـ معركة اليرموك :

جرت سنة ١٥ هجرية ـ ٦٣٦ ميلادية ، وتم النصر فيها للعرب بقيادة خالد بن الوليد وهو انتصار حاسم .

ثالثا ـ فتح القدس :

في سنة ١٧ هجرية ـ ٦٣٨ ميلادية ،فتحت القدس بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ،وتم فتحها سلما على يد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٠

ومنذ تحرير الشام (ومنها فلسطين) ، بدأ المجتمع الشامي عامة أو المجتمع السوري يدخل في حياة جديدة يسودها طابع جديد ٠

فالفاتحون الجدد يتفقون مع سكان الشام في أنهم جميعا عرب وكانت الشام ومنها فلسطين قبل قدوم الاسلام وثنية مسيحية كما كانت تخضع لنفوذ امبراطوريات من جنس غير عربي ، بينما ظهر بعد ظهور الاسلام فاتح جديد يحمل عقيدة الاسلام ومن جنس عربي ، ولهذا تجاوب عرب فلسطين مع اخوانهم العرب الفاتحين ، ولم يعترضوا على دخولهم بل استقبلوهم في مدينة القدس بالترحاب وأسلم غالبيتهم ٠

والملفت للنظر : ان اليونانيين والرومان والبيزنطيين ، منذ عام ٣٣٢ ق٠م ٠ وحتى عام ٦٣٨م قد غيروا أسماء المدن الكنعانية العربية ولكن عرب فلسطين حافظوا على الاسماء الكنعانية العربية وأورثوها لابنائهم جيلا بعد جيل ، وعندما ذهب المحتلون البيزنطيون عام ٦٣٨م ٠ وحل محلهم عرب ، نجدهم وقد أعادوا الى مدنهم أسماءها الكنعانية بعد غيابها ١٠٠٠ عام ٠ ومن هذه الاسماء : (عكا ـ أسدود ـ يافا ـ غزة بئر سبع ـ بيت شمس ـ بيت جبرين ـ عقرون ـ بيت دجن ـ بيسان ـ أريحا ـ وغيرها الكثير) ٠

ومنذ عام ٦٣٨م توالت الخلافة الاسلامية على فلسطين : خلال عهود الامويين ـ العباسيين ـ الفاطميين ـ الايوبيين ـ المماليك ـ والعثمانيين ٠ وخلال هذه الفترة الممتدة منذ عام ٦٣٨م الى نهاية الحرب العالمية الاولى ، تعرضت فلسطين لاطماع وغزوات المحتلين الاجانب ومنهم الصليبيون حيث سقطت القدس في أيديهم عام ١٠٩٩م، ولكنهم طردوا منها على يد صلاح الدين الايوبي عام ١١٧٣ م ، ثم تعرضت فلسطين لغزو التتار عام ١٢٦٠م ، ثم المغول عام ١٤٠٠م ولكنهم طردوا منها ٠ وأخيرا بعد الحرب العالمية الاولى احتلت فلسطين بواسطة البريطانيين حتى ١٥ مايو عام ١٩٤٨م وخلال الانتداب البريطاني قامت في فلسطين عدة ثورات لطرد المحتلين البريطانيين والصهاينة الذين ساعدتهم وسمحت لهم بريطانيا باقامة مستعمرات في وطننا فلسطين ٠

في ١٥ مايو عام ١٩٤٨م ذهبت بريطانيا وحل محلها استعمار استيطاني وهو الاستعمار الذي مازال جاثما على أرضنا فلسطين حتى الان ويذيق أهلنا في الارض المحتلة شتى أنواع القهر والاستعباد ٠ولكن شعبنا منذ الفاتح من يناير عام ١٩٦٥ م وحتى الان يناضل داخل فلسطين المحتلة

وخارجها • لاقامة دولته العربية الفلسطينية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لشعبنا العربي الفلسطيني ، وان القدس هي عاصمة فلسطين •

القدس :

أهلها كنعانيون عرب ظهروا بشكل واضح منذ العصر الحجري المتوسط وكانوا في بادىء الامر يسكنون في وادي النطوف شمال غربي القدس حيث عثر على بيوتهم الدائرية والمسقفة بالقصب المخلوط مع التبن • كما وجدت (مواقد مربعة في وسط كل بيت ، وقد أحيطت بأحجار طليت بمادة بيضاء قوية جدا وهي الجبس)(١) •

وقد عرفوا الزراعة حيث عثرت على أدوات حصاد وهي مناجل شكلت من حجارة الصوان ومن النوع المعروف باسم «الشفرات الصوانية» ثبت في قبضة خشبية ذات شكل منحني مثل المنجل ويعتقد أنها كانت تستخدم لحصاد القمح(٢) ويعود تاريخها الى ١٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد •

وانتشروا بعد ذلك ليغطوا مرتفعات القدس وماجاورها منذ العصر الحجري الحديث ، وقد دلت الحفريات الاخيرة التي قامت في « ايبلة » شمال سوريا وتعود الى ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد أن اورشالم احدى مدن الكنعانيين وطبيعي ان هذه الحفريات التي ظهرت فيها أسماء مدن كنعانية لم توجد فجأة ، بل ان هذه المدن قد وجدت قبل ذلك التاريخ •

وتظهر فسيفساء من امبراطورية حمورابي البابلية (٢٠٠٣ - ١٩٥٠ ق•م) وهم أمراء محليون كانوا يتقاسمون بلاد كنعان «فلسطين وأمور وسوريا » وكان أهم أولئك الملوك الكنعانيين ملك يبوس أو « اورشليمو » وكانت مملكته تمتد حتى الكرمل وهكذا تبدو اورشليمو ، معروفة منذ العهد البابلي •

عثر في مدينة اليبوسيين « القدس أو اورشالم » على سور ضخم عرضه تسعة أقدام ، وهو يمتد في أحد جوانب المدينة لمسافة ٤٩ مترا ، وأمامه خندق عرضه ١١ مترا يعود الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، استخدمه اليهود عندما احتلوا مدينة اليبوسيين في القرن العاشر قبل الميلاد(٢) •

والاسم الكنعاني لمدينة القدس هو « أورشالم » وهو مشتق من اسم الاله الشفاء الكنعاني حيث كانوا يعتقدون ان مكانه في القدس • وقد ورد اسم شالم في نصوص رأس شمرا « أوجاريت » الكنعانية •

وكما كانت مقدسة لدى أجدادنا الكنعانيين العرب ، فقد قدست أيضا خلال العصر الاسلامي ، وقد شيد فيها العرب المسلمون كبرى العمائر الاسلامية الدينية وأهمها : مسجد قبة الصخرة ، والمسجد الاقصى •

١ - مسجد قبة الصخرة :

تعتبر هذه القبة من أقدم نماذج الفن

المعماري الاسلامي ، وقد أمر ببنائها الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ - ٦٩١ - ٦٩٢م • بقي في الصندوق الذي توجد به الاموال الخاصة ببناء القبة بعد الانتهاء من بنائها مايعادل ١٠٠٫٠٠٠ دينار •

وقد أمر الخليفة باعطاء هذا المبلغ مكافأة للرجلين اللذين أشرفا على عملية البناء ، ولكن الرجلين اعتذرا عن أخذ المبلغ ، فأمر الخليفة عبد الملك بن مروان بأن تسبك المائة ألف دينار وتوضع على القبة والابواب • وهذان الرجلان هما يزيد بن سلام وهو فلسطيني من مدينة القدس وكان من موالي الخليفة ، والاخر رجاء بن حيوه الكندي ، وكان من العلماء المعروفين في تلك الايام • وقد اعتمدوا في الغالب على بنائين ومعماريين محليين ، كما ان العمال الذين ساهموا في بناء هذه القبة هم عرب فلسطينيون من مدينة القدس ومن بينهم كثرة من النبطيين(٤) وهم عرب كنعانيون •

تم بناء قبة الصخرة في مدة تتراوح مابين ٣ الى ٥ سنوات ، هذا وقد روى الكثير عن سبب بناء قبة الصخرة ، فقد كتب اليعقوبي الذي توفي في عام ٢٨٤هـ ، عن سبب بناء هذه القبة فقال : (ان عبد الملك منع أهل الشام من الحج ، وذلك ان عبد الله ابن الزبير كان يأخذهم اذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج الى مكة ، فضج الناس وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا !

فقال : هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم ان رسول الله قال : « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس - وهو يقوم لكم مقام المسجد » وهذه الصخرة وضع قدمه عليها رسول الله لما صعد الى السماء تقوم لكم مقام الكعبة • فبنى على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة وأخذ الناس يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة(٥) •

ويتكون التخطيط المعماري لقبة الصخرة من بناء حجري مثمن يتكون من مثمن خارجي يتكون من ثمانية جدران طول كل منها حوالي عشرين مترا ونصف متر ، وارتفاعه حوالي تسعة أمتار ونصف متر ، وفي أعلى كل جدار من هذه الجدران توجد نوافذ يدخل منها النور الى داخل المسجد • وفي الجدران المقابلة للجهات الاربع الاصلية من المثمن توجد أربعة أبواب • ويقسم كل جدار من هذه الجدران الى قسمين ، علوي مبلط بالقاشاني الصغير الحجم نسبيا وسفلي وهو مغطى بالرخام •

ويلي المثمن الخارجي دائرة تتكون من أربعة أكتاف واثني عشر عمودا تحمل فوقها ستة عشر عقدا مدببا • ويلي العقود رقبة اسطوانية بهاست عشرة نافذة وفوقها قبة • وهي القسم العلوي المذهب من مسجد

قبة الصخرة ، ويبلغ قطرها حوالي عشرين مترا وأربعة وأربعين سنتمترا • وقد شكلها الفنان من طبقتين من الخشب الداخلية تغطيها طبقة من الجص المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية والخارجية مغطاة بطبقة من الرصاص المطلي بالذهب(٦) •

جعل الفنان المعماري بينطبقتي الخشب فراغ حتى يسهل الترميم ، وكذلك العزل الحراري • وتتراوح سعة هذا الفراغ من عند العنق حوالي ٧٥ سم ، ثم يزداد هذا الفراغ تدريجيا ويصل الى ١١٨ سم ثم الى مترين في وسط القبة ، ولقد استبدلت أخيرا الطبقة الخارجية الرصاصيةالمذهبة، بطبقة من معدن الالومنيوم المذهب •

وسط هذا البناء وأسفل القبة مباشرة تقع الصخرة المقدسة وقد وصفها كريزول : « ان طولها ١٨ مترا من الشمال الى الجنوب وعرضها ١٣ مترا من الشرق الى الغرب وان أقصى ارتفاع لها حوالي متر ونصف المتر »• وتحت الصخرة المقدسة مغارة يوصل اليها سلم ضيق عدد درجاته ١١ درجة •• وهي مربعة طول ضلعها حوالي أربعة ونصف متر ، وهذه الصخرة زارها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما فتح أبو عبيدة الجراح فلسطين ، وقد كانت مغطاة بالقاذورات فأمر الخليفة واحدا من أهل المدينة بأن ينظفها وكان من الانباط العرب وقد نظفها ، واتفق ان هطلت الامطار بعد ذلك وقد اذن عمر بعد ذلك للصلاة فوقها(٧)

وقد أقام عمر مصلىمن الخشب بعد ذلك قبل أن يقيم عبدالملك بن مروان علىأنقاض البناء الحالي وهو مسجد قبة الصخرة •

يشاهد الناظر للقبة من الداخل ان الاقواس الداخلية نصف دائرية ، وكذلك أقواس النوافذ ، أما الاعمدة فهي منمباني قديمة دمرتها جيوش كسرى عام ٦١٤ م ومعظمها من الكنائس وعددها داخل المسجد حوالي ١٢ عمودا ، وهي تختلف من حيث طرزها المعمارية وقد استخدمت روابط خشبية لربط التيجان •

تعتبر قبة الصخرة من أبدع العمائر الاسلامية وأقدمها ، كذلك من أقدم نماذج القباب الاسلامية • وقد بني مسجد قبة الصخرة في وسط قطعة من أرض القدس منبسطة ومرتفعة نوعا عما حولها ، وتبلغ مساحة الارض المقدسة التي تضم قبة الصخرة والمنطقة المحيطة بها ، والتيتعرف بفناء الصخرة وكذلك المسجد الاقصىحوالي ٢٦٠ر٠٠٠ متر مربع • ويوجد في فناءالصخرة ثمانية قناطر تكلل الادراج أو المراقي التي يصعد عليها المرء اذا ماأراد الانتقال من أرض الحرم الشريف الى فناء الصخرة •

وقد انتقل تأثير قبة الصخرة الى الطرز المعمارية الاسلامية ففي العصر العباسي اتبع الاسلوب المثمن المتبع في تخطيط مبنى قبة الصخرة وخاصة في بناء الاضرحة • فضريح قبة المنتصر والتي تعرف باسم قبة الصليبيين في سامرا ، كان تخطيطه

مثمنا وفي وسطه حجرة الدفن وتعلوها قبة ٠ وفي العصر المملوكي اتبع نظام تشكيل قبة الصخرة ، وذلك في تشكيل قبة مسجد السلطان حسن حيث كانت القبة من الخشب ومغلفة بالرصاص ٠٠ كما استخدم تخطيط قبة الصخرة في العصر المملوكي وخاصة في قبة قلاوون التابعة لمدرسة قلاوون ، حيث يدخل الى قبة قلاوون من فناء مكشوف تحيط به أروقة معقودة بقبوات وهي تحيط به على تخطيط مثمن مثل تخطيط مسجد قبة الصخرة »(٨) ٠

١ ـ خلاصة القول ان مبنى قبة الصخرة الذي يعتبر من أبدع وأقدم العمائر الاسلامية هو من عمل فنانين عرب من فلسطين وقد أشرف على بنائه رجلان عربيان هما يزيد بن سلام وكان من المقدسيين ومن موالي عبد الملك بن مروان ، ورجاء بن حيوه الكندي ، وكان من العلماء المعروفين في تلك الايام وقد اعتمدا في الغالب على بنائين ومعماريين محليين ، كما ان أكثر الذين ساهموا في بناء مسجد الصخرة كانوا كما ذكر المؤرخون من أهل القدس ٠ « لقد كان جل اعتماد المسلمين في البداية على الصناع والفنيين من المسيحيين السوريين وكلمة سوري تعني شامي والمقصود بها سكان (سورية ـ لبنان ـ فلسطين ـ الاردن) ٠

كما يرد أيضا انهم « كانوا أساتذة المسلمين في هذا الميدان » ٠ ونشأ على يد الجميع الطراز الاموي في الفنون الاسلامية ، ونقل القواد والولاة واتباعهم أصول هذا الطراز من الشام الى سائر الاقاليم الاسلامية فتأثرت بها الاساليب الفنية القديمة في تلك الاقاليم »(٩) ٠

٢ ـ كما ان الشكل الثماني قديم بفلسطين وقد عبد منذ ٤٥٠٠ سنة ق٠م ٠

٣ ـ كذلك القبة التي ظهرت في البناء في فلسطين منذ ١٢٠٠٠ سنة ق٠م ٠

وبهذا نستطيع أن نرفض الاراء المغلوطة والتي يقولون فيها بان قبة الصخرة متأثرة بالفن البيزنطي والساساني ٠ اذ ان النظام المعماري لقبة الصخرة قديم بفلسطين وكذلك الشكل المثمن وان العمال والبنائين والمشرفين على عملية البناء هم عرب من فلسطين وسوريا ٠

٢ـ المسجد الاقصى :

ويقع جنوب مسجد الصخرة على بعد ٥٠٠ متر من رقعة الحرم الشريف ، وقد أنشىء أول الامر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك سنة ١٧ هـ ـ ٦٣٨م ، وقد زاره اركولف وهو سائح اوروبي حوالي عام ٦٧٠م ، وقد وصفه بانه بسيط للغاية ، وقد شكله الفنان من الخشب واللبن ، وهو مستطيل الشكل ويتسع لحوالي ٣٠٠٠ من المصلين ٠ وقد أمر باعادة بنائه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ٠ وكان قوامه الاروقة موازية للقبلة يعترضها رواق عريض ٠ وقد أتم بناؤه ابنه الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦هـ ـ ٧٠٥ م(١٠) ، يبلغ طول المسجد

الاقصى حوالي ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا وارتفاعه ١٥ مترا ، ويقوم الان على مساحة تبلغ نحو ٤٥٠٠ متر مربع ٠ وبه ثلاثة وخمسون عمودا من الرخام ، وتسع وأربعون سارية مربعة الشكل ٠ وبه مائة وسبع وثلاثون نافذة ٠ وكانت أبوابه الاحدى عشرة زمن الامويين ملبسة بصفائح الذهب والفضة ، ولكن أبا جعفر المنصور أمربقلعها وتسييجها الى دنانير تنفق على المسجد وفي أوائل القرن الحادي عشر في زمن الفاطميين أصلحت بعض أجزائه ، كما تشكلت قبته وأبوابه الشمالية وعندما احتل الصيلبيون بيت المقدس عام ١٠٩٩م حولوا قسما كبيرا من المسجد الى كنيسة ، كما جعلوا القسم الاخر الى الكنيسة مسكنا لفرسان الهيكل ومستودعا لذخائرهم ٠ ولكن عندما استعاد صلاح الدين الايوبي من الصليبيين بيت المقدس ، أمر بأن يصلح المسجد الاقصى ، وبتجديد المحراب ، كما أمر بأن تكسى القبة بالفسيفساء ، وقد وضع فيه منبرا خشبيا وعرف باسمه ، وقد عني بعد ذلك سلاطين المماليك ، وسلاطين بني عثمان بالمسجد ٠

هذا ويوجد داخل الاقصى جامع يعرف باسم جامع عمر ، وهو مستطيل الشكل وايوان كبير يعرف بمقام عزيز وايوان صغير يعرف بمحراب زكريا ، ويوجد رواق كبير أمام المسجد من الشمال ، وقد أمر بانشائه أحد ملوك الايوبيين وذلك سنة ١٢١٧م ٠

ويتألف هذا الرواق من سبع قناطر مقصورة كل واحدة تقابل بابا من أبواب المسجد كما يوجد تحت الاقصى القديم أو الاسطبل وقوامه سلسلة عقود تقوم على أعمدة ضخمة(١١) ٠

تعرض المسجد المقدس (الاقصى) والتحفة الفنية التي تجمع مدارس الفن الاسلامي (الاموي ـ العباسي ـ الفاطمي ـ الايوبي ـ المملوكي ـ العثماني) للحريق في ٢١ـ٨ـ١٩٦٩م على يد السلطات الصهيونية وألصقت التهمة بشاب استرالي ٠

« وقد ثبت من خلال التصريح الذي أعلنه سماحة الشيخ حلمي المحتسب رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس في مؤتمره الصحفي الذي عقده بعد الحريق ونشرته جريدة « القدس » بتاريخ ٢٢ـ٨ـ١٩٦٩ م ٠ ومن خلال التقارير التي وضعها المهندسون العرب ، الذين انتدبتهم الهيئة الاسلامية في القدس للكشف عن الحريق ، كذلك الصور التي أخذت للمسجد من الداخل والخارج بعد الحريق ٠٠ انه حريق مفتعل وغير طبيعي ، وليس من جراء خلل في شبكة الكهرباء ، ومما يثبت تعمد الحريق ان مياه البلدية لدى سلطات الاحتلال قد قطعت عن منطقة الحرم الشريف فور ظهور الحريق ، كما ان سيارات الاطفائية التابعة لبلدية سلطات الاحتلال تأخر وصولها ومباشرتها لعملية الاطفاء كي يتم الحريق ٠ كما ان الذي ساهم وساعد على اطفاء واخماد الحريق هو وصول

سيارات اطفاء بلديتي رام الله والخليل ولكن بعد أن أتى الحريق على منبر صلاح الدين والسطح الشرقي الجنوبي للمسجد ، حيث أتى على سقف ثلاثة أروقة ، وعلى جزء كبير من هذا القسم(١٢) ٠ كما يبين أمين القدس روحي الخطيب ، ان الحريق كان متعمدا من سلطات الاحتلال الصهيوني من خلال صور الحريق ، والتي يبدو فيها ان حريق المنبر لم يلتق مع حريق الاروقة ٠

فيقول : « أما الصور التي أخذت للموقع بعد الحريق مباشرة ، فانها تكشف عن الحريق الاول الذي أتى على المنبر ، لم ترتفع الى السقف الذي فوق المنبر ، وبناء عليه فان هذا الجزء من السقف لم يتأثر ، هذا من ناحية ، أما من الناحية الاخرى ، فان ألسنة نيران الحريق الثاني لم تمس جدران وأعمدة الاروقة التي تحتها ، ولم تمس حتى السجاد المفروش في هذا الجزء ٠٠٠٠٠ و بالاضافة الى ذلك ، فانه لم يحصل أي لقاء بين الحريقين الاول والثاني ٠

ولما كان ارتفاع السقف عن أرض المسجد يبلغ ١٥ مترا ٠ وحيث انه لم يكن هناك أي اتصال قريب بين موقع المنبر والسطح الشمالي الشرقي ، ولما لم يكن هناك أية دلائل تشير الى اتصال بين الحريقين ، فانه لمن المؤكد ان حريقين منفصلين قد حصلا في وقت واحد »(١٣) ٠

والنظام المعماري للمسجد الاقصى هو نظام محلي كنعاني عربي ظهر بفلسطين في العصر الحجري النحاسي وذلك منذ ٤٥٠٠ سنة ق٠م وكانت تمتاز به العمارة الدنيوية في مدينة (بيت شان) بيسان ٠ كذلك ظهر في تشكيل التوابيت الفخارية وخاصة توابيت الخضيرة منذ ٤٥٠٠ ق٠م ٠

أما بالنسبة لبناء المآذن ، فالمعروف ان أقدمها في الشام مئذنة المسجد الاموي بدمشق ، ومئذنة بيت المقدس في القدس ، ومئذنة المسجد الجامع في غزة ٠

والمعروف ان المساجد الاولى في الاسلام كانت بغير مآذن كما ان الرسول والصحابة كانوا يصلون في البداية من غير آذان وعندما أذن بلال بأمر من الرسول الكريم (صلعم) فقد كان يؤذن من أعلى سطح يجاور المسجد٠ أما المآذن فقد استخدمت كما ورد لاول مرة في الشام في مدينة دمشق حيث أذن للصلاة من أبراج المعبد الوثني القديم الذي أقيم مكانه المسجد الاموي ٠

وقد كانت الابراج مربعة الشكل واستخدم هذا الطراز في دمشق ، والقدس وغزة ٠ كما عم استخدام هذه المآذن في المغرب العربي٠ ومن هنا نرى ان المآذن الاولى ظهرت في الشام في سوريا وفلسطين ، وكانت أبراجها مربعة ومنها انتقل الى أنحاء العالم الاسلامي، خاصة في الجزيرة العربية ومصر وبلاد المغرب والاندلس ٠

بقي هذا النظام المعماري حتى الان في غربي العالم الاسلامي كذلك يظهر بكثرة في الشام وفي بعض أجزاء العالم الاسلامي٠

ومن أمثلة هذا الطراز وأقدمها في بلاد المغرب ، مئذنة جامع سيدي عقبة في القيروان • وقد شيدت في عصر هشام بن عبد الملك وهيتقليد لمآذن سورياوفلسطين « فهي برج مربع ضخم يضيق كلما ارتفع وتعلوه شرفات وطابقان » ، ومن الامثلة الاخرى التي تأثرت بطراز سوريا وفلسطين منارة « مئذنة » الكتيبةفي مراكش ،ومئذنة المسجد الجامع في اشبيلية بالاندلسوتعرف الان باسم برج الكاتدرائية •

كذلك مئذنة حسن في الرباط وتاريخها يرجع الى القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي(١٤) •

وقد شاع بفلسطين استخدام نوعين من المآذن :

١ ـ المآذن المربعة : ومن أمثلتها مئذنة في بيت المقدس وهي منتشرة في معظم مدن فلسطين والقدس والرملة وعكا وحيفا ويافا وغزة والخليل ونابلس •

٢ ـ المآذن المثمنة : تقوم على قاعدة مربعة وبدنها مثمن الاضلاع ، ومازال يستخدم حتى الان •

وكلا الطرازين مستمد من الطراز العربي الكنعاني القديم الذي ظهر في سورياولبنان وفلسطين والاردن والعراق •

وبهذا نستطيع أن نقول ان أولىالعمائر الاسلامية بفلسطين تعتبر من أول النماذج المعمارية الاسلامية وهي ابتكار عربي محلي وامتداد لطراز أجدادنا الكنعانيين •

أهم المراجع :

(١) د• وليد الجادر ــ دراسة في حضارة العراق والشرقين الاوسط والادنى القديمة ــ مترجمة ٦٥ مجلة الاقلام ــ العدد السادس ــ وزارة الاعلام ــ بغداد ــ ١٩٧٢ م •

(٢) د• فيليب حتى ــ تاريخلبنان ــ مترجم ــ ص ٦٢ ، ٦٥ ، ١٩٧٢ م •

(٣)
Kenyon : Biblical Archaeologist, Vol. XXVII May 1964, No. 2,p.40.

(٤) مجلة العربي العدد ــ ١٦١ مارس ١٩٧٢ م ــ ص ٥٩

(٥) د• زكي محمد حسن ــ فنون الاسلام ص ٣٧ ــ ٣٨

(٦) أبو صالح الالفي ــ الفن الاسلامي ــ (١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٣٢) د• زكي محمد حسن ، فنون الاسلامــص ٣٦ ، ٣٧

(٧) الدليل السياحي الاردني ــ وزارة السياحة والاثار ــ عمان ص ٩٧ ، مجلة العربي ، العدد ١٦٠ مارس ١٩٧٢ م ــ ص٥٠

(٨) راجع : أبو صالح الالفي ــ الفن الاسلامي ص (١٩٥ الى ١٩٨) •

(٩) د• زكي محمد حسن ــ فنون الاسلام من (٤٤ الى ١٥٠) •

(١٠) أبو صالح الالفي ص ١٥٠

(١١) الدليل السياحي الاردني ــ وزارة السياحة والاثار ــ ص ٩٧ ، ٩٨ ، مجلة العربي ــ العدد ١٦٠ ــ ص ٦٤

(١٢) أمين القدس : روحي الخطيب ــ تهويد القدس ــ الجزء الاول ص ٣٨ الى ٤٣•

(١٣) نفس المرجع السابق : ص ٤٣ ، ٨٩ ، ٩٣ .

(١٤) د. زكي محمد حسن ـ فنون الاسلام ـ ص ١٤٤ الى ١٥٠

الباب الرابع عشر
الخاتمـــة

ومن خلال عرضنا السابق لتاريخ فلسطين القديم ، يتضح لنا الحقائق التاريخية التالية :

ـ أقدم ظهور لانسان فلسطين كان في العصر الحجري القديم ، وأماكن تواجده الاولى في كهف أم قطفة ، ومغارة الزطية ، والسخوم ، والطابون ، والوادي ، وكهف الاميرة وعلى جانبي مجرى نهر الاردن .

ـ أقدم أدوات حجرية استخدمها انسان فلسطين تعود الى العصر الحجري القديم منذ ٢٨٠,٠٠٠ سنة على الاقل ، وتتكون من الفؤوس اليدوية والبلطات اليدوية والمطارق والسواطير والسكاكين ، وأدوات التخريم ، ثم تطورت الى أدوات دقيقة وهي الاسلحة النصلية السهلة الحمل والتنقل .

ـ عرف انسان فلسطين النار منذ ١٥٠٠٠٠ سنة في مغارة الطابون ، وتتكون من أخشاب السنديان والطرفاء والكرمة والزيتون .

ـ أقدم هياكل عظمية متحجرة بشرية في منطقة الشرق الادنى القديم ، عثر عليها في مغارتي الطابون والسخول ، وكذلك في جبل القفزة في كهف يقع جنوب الناصرة ، وتاريخها يعود الى ١٠٠,٠٠٠ سنة على الاقل .

ـ في العصر الحجري المتوسط ، عرف انسان فلسطين استئناس الحيوانات وتربيتها منذ ١٥,٠٠٠ سنة ، وعرف الزراعة وبناء القرى منذ ١٢,٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

ـ عرف انسان فلسطين العمارة الدنيوية والجنائزية منذ ١٢,٠٠٠ سنة قبل الميلاد . والعمارة التحصينية والدينية منذ ٧٨٠٠ ـ ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، هم عرب كنعانيون كما تشير الى ذلك الدلالات الاثرية المادية الملموسة وأهمها :

١ ـ النظام الدائري للقبة الذي ظهر في قرى عين ملاحة ، وعينات ، واريحا ، ووادي النطوف . هذا النظام المعماري من أهم مميزات العمارة الكنعانية وخاصة منذ بداية عصر البرونز المبكر ، كذلك أصبح من أهم مميزات العمارة الاسلامية .

٢ ـ النحت الذي عثر عليه في مغارة الوادي ، ويمثل عضو التزكير ، هذا النحت كان يستخدم لدى الكنعانيين ، وخاصة منذ الالف الثالث قبل الميلاد ، وتعرف باحتفالات عيد الهة الخصب ، وهذه الدلالات تشير الى أن أهل فلسطين خلال العصر الحجري المتوسط كانوا عربا كنعانيين .

ـ في العصر الحجري الحديث عرف أول استقرار كامل بفلسطين ، وذلك في مدينة أريحا منذ (٨٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد) . كما عرفوا نظام العمارة التحصينية التي تتكون من خندق وبرج وأسوار عالية ، وعرفوا المعابد وفن النحت والفخار والنسيج منذ

٦٨٠٠ سنة قبل الميلاد ٠ وهناك دلالات على عروبة فلسطين في هذه المرحلة وهي :

١ – وجد مبنى غريب الشكل وقد عثر على جماجم للاطفال تحت أساسات المبنى وهذه ، عادة كنعانية ٠

٢ – عثر على شواهد اثرية عبارة عن أعمدة حجرية على جانبي نهرالاردن،وداخل معبد أريحا ، وهذه رموز لالهة كنعانية ظهرت بشكل واضح خلال عصر البرونز المبكر ٠

٣ – التماثيل الثلاثية التي عثر عليها في معبد اريحا ، تذكرنا بالثالوث في العبادة الكنعانية ، اله الخصب ، الهة الخصب ، وعدو اله الخصب ٠

٤ – تمثال الهة الخصب الذي عثر عليه في اريحا هو تمثال للالهة عناة التي عرفت في نصوص أوجاريت ، حيث تمسك بثدييها لتعطي الخصب والحياة لارض الكنعانيين – سوريا – لبنان – فلسطين – الاردن ٠

٥ – النحت الصوري الذي عثر عليه في أريحا ، وهو الجماجم المغطاة بالجبس ، يظهر على احدى هذهالجماجم غطاء للرأس، وهو يشبه تماما غطاء الرأس المعاصر الذي تلبسه النساء الفلسطينيات ويعرفباسمه الشعبي « الوقاية » أو « الصمادة » أو « العصبة » ٠ وهذه هي العصبة الكنعانية، كذلك فان هناك جماجم ظهرت حليقة ، وهي عادة كنعانية ، حيث يظهر الكهنة الكنعانيون على جدران مقابر المصريين في طيبة حليقي الرؤوس ٠

٦ ـ المباني التي تلتف حول باحة تتوسطها ذات الابواب الواسعة والاقواس ، هي مبان ذات نظام معماري كنعاني مازال متبعا حتى الان في الارياف الفلسطينية والمدن ٠

٧ – المحراب الذي ظهر في معبد اريحا ، هو المحراب الذي ظهر في المعابد الكنعانية خلال العصور التاريخية ، وقد نقله «اليهود» الى الكنيس ثم نقل الىالكنيسة المسيحية، ثم ظهر في المساجد الاسلامية وهو في الاصل نظام معماري عربي كنعاني ظهر فيفلسطين منذ ٦٨٠٠ سنة قبل الميلاد ٠

٨ – فخار أريحا الذي يعود الى ٥٥٠٠ سنة قبل الميلاد تقريبا ، فيه أشكالالابريق والزبدية وصحن أبو عشرة « اللقان » وهي من أهم الاواني الكنعانية وخاصة الابريق والزبدية ٠ وهذه الادوات مازالت تشكلحتى الان بين أبناء شعبنا العربي في غزةوالخليل، وخانيونس ونابلس ٠

– في العصر الحجري النحاسي – عرف انسان فلسطين العمارة الدنيوية والدينية والجنائزية وعرف الزراعة المعتمدة على الري ، وزادت علاقته مع جيرانه ، وأهم مواقعه الاثرية اريحا – وادي غزة – بئر السبع – الغسولية – مجدو – بيت شان – الخضيرة – تل الفارعة – تل جازر ٠ وأهل هذه الحضارة هم عرب كنعانيون ويدل على ذلك :

١ – عثر على اطفال تحت اساسات المباني داخلجرارفخارية وهيعادة كنعانية

٢ – زخارف التوابيت الفخارية هي نفس الزخارف التي توجد على الازياء المعاصرة الفلسطينية ٠

٣ – عرفوا فن التطريز في هذه المرحلة ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد ٠

٤ – اوانيهم الفخارية كلها كنعانية ومازالت حتى الآن وخاصة الزبدية والبوشة٠

– في عصر البرونز ٣٠٠٠ – ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد ، انضم لاهل فلسطين من العرب الكنعانيين عرب جدد جاؤا من شمال سوريا والبعض من ارض الرافدين ومن جنوب بلاد العرب وسبقهم ايضا عرب انضموا لاهل فلسطين منذ ٣٥٠٠ قبل الميلاد ٠ وتطورت حياتهم وظهر نظام المدن او الممالك المستقلة بشكل واضح ٠

فكل مدينة يطلق عليها مملكة وهي ذات تحصينات تتكون من الابراج البوابات الضخمة ٠ واشتهروا بصناعة الارجوان التي اكتسبوا اسمهم منها ٠ كذلك اشتهروا بالاسلحة الحربية وخاصة العربات الحربية، والصناعات العاجية ، وقد ظهرت لهم قوة عرفت في التاريخ باسم الهكسوس ، وهم عرب كنعانيون وعموريون من سكان سوريا ولبنان وفلسطين والاردن ٠

وفي هذه الفترة ايضا حدثت هجرات عربية كنعانية الى جزر بحر ايجه ، وقد عادت بعض هذه القبائل ، ومنها قبيلة البولستا الى فلسطين وهي كنعانية عربية٠

– وفي عصر الحديد – حدث غزو لبعض المدن الجبلية الكنعانية وخاصة شكيم « نابلس » واورشالم « القدس » ٠ واحتلت من قبل مجموعة خليطة يدينون باليهودية، ولكنهم انتهوا من شكيم « السامرة » عام ٧٢٢ سنة قبل الميلاد ، ومن اورشالم القدس عام ٥٨٦ قبل الميلاد ٠ كما خضع اهل فلسطين لحكم الامبراطوريات الكبيرة ، وهي اشور وبابل ثم الفرس ، ثم اليونانيين عام ٣٣١ قبل الميلاد ثم الرومان والبيزنطيين منذ عام ٦٤ قبل الميلاد ، لتعود الى فلسطين حريتها وعروبتها ٠

وتوالت بعد ذلك الخلافة الاسلامية وظهر الامويون والعباسيون والفاطميون والايوبيون والمماليك والعثمانيون ٠ وخلال هذه الفترة تعرضت فلسطين لغزوات متعددة : هم الصليبيون والمغول والتتار ٠ وبعد الحرب العالمية الاولى الانكليز ، وفي عام ١٩٤٨ تعرضت فلسطين لاطماع الاحتلال الاستيطاني الصهيوني حتى الان ٠ وهذه الارض التي سكنها اجدادنا العرب الكنعانيون منذ العصر الحجري القديم وانشأوا اول قرى بفلسطين عربية منذ ١٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، هذه الارض ستبقى عربية رغم الاحتلال الصهيوني لها ٠ وسيستمر النضال بفضل سواعد ثوارنا المقاتلة داخل ارضنا المحتلة وخارجها ، حتى تقوم الدولة العربية الفلسطينية المستقلة ، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وسيرتفع علم فلسطين فوق عاصمتها القدس ٠٠٠٠ مدينة اجدادنا الكنعانيين التي ظهرت منذ ستة الاف سنة على الاقل ٠